سلسلة
روائع تراثنا الإسلامي

الرحلة في طلب الحديث

للخطيب البغدادي
الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت

ولد سنة ٣٩٢ وتوفي سنة ٤٦٣ رحمه الله

حققه وعلق عليه
نور الدين عتر
رئيس قسم علوم القرآن والسنة
في جامعة دمشق

الطبعة الأولى

١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

إعادة الطبع محفوظة للمحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » .

« قرآن كريم »

« مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ » .

« حديث شريف »



الإهــداء

إلى العلامة الكبير المجاهد ، فضيلة أستاذنا الجليل الشيخ مصطفى مجاهد ، الذي أفدتُ منه في علم الحديث وفقهه ، في رحلاتي العلمية إلى كعبة علوم الاسلام : الجامع الأزهر .

لقد كنْتَ لنا أستاذاً عظيما ، ومرشداً ناصحاً وأسوة حسنة . وكنت مثالاً في الجهر بالحق وإعلاء كلمته ، غرست فينا روح العلم والعمل في مجالس المذاكرة التي خصصتنا بها .

وقد أكرمك ربك بنشر العلم على أعلى مستوياته ، في أول الحرمين أقدس البلاد ، ثم اصطفاك لرحمته في أكرم جوار ، جوار رسوله الأعظم ﷺ ، تكريماً لجهادك فيه ، ولحبك لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

وبعد :

فان الله تعالى قد جعل الأمة الاسلامية هادية مهتدية ، تحمل لواء العلم وتجلو ظلمات الجهل ، وقد قام ورثة الانبياء فيها من أئمة الدين باضاءة منار العلم بما بحثوه في حلقاتهم العلمية ، وما صنفوه من المصادر الجليلة ، التي خلدها التاريخ مفخرة للمسلمين ونبراساً يهتدون به في تجديد ما درس من حضارتهم ، وإحياء ما غطى عليه الجهل من معارف كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ .

وقد أخذنا على عاتقنا نشر مجموعة من هذه المصادر لها أهميتها ومكانها في مكتبة العلوم الاسلامية ، تحت هذا العنوان «سلسلة روائع تراثنا الاسلامي» ، راجين من الله تعالى أن يتفضل بالتيسير والقبول .

وهذا كتاب «الرحلة في طلب الحديث» ننشره بين يدي هذه المجموعة تشجيعاً لطلاب العلم بل لكل المسلمين وترغيباً في طلب العلم وبذل غاية الوسع والطاقة من أجله أسوة بما كان عليه سلفهم الصالح حيث كان الواحد منهم يرحل المسافات الشاسعة ويجتاز الفيافي والقفار ، يأدتم كسر

الخبز اليابس ، ويكتفي بالطعام الجلف ، ويلبس خلق الثياب ويعاني الأهوال للفوز بطلب العلم ، بل لطلب مسألة من العلم ، أو لسماع حديث واحد.

وقد جمع الامام الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب الرحلة هذا أخباراً عجيبة وتحفاً نادرة من أخبار رحلاتهم هي رحلاتهم من أجل الحديث الواحد فقط ، ثم قام محققه فضيلة الدكتور الشيخ نور الدين عتر رئيس قسم علوم القرآن والسنة بجامعة دمشق بجلاء هذه المأثرة الجليلة من مآثر مجدنا العلمي وأبرز حيويتها ونضارتها بما قدم به لهذا الكتاب من دراسة قيمة واسعة عن الرحلة من منبعها وهو الاعجاز العلمي للقرآن الكريم ، ثم بردّ كيد الكائدين لهذه الأمة من متعصبة المستشرقين الذين حاولوا زحزحة المسلمين عن مفاخرهم وأمجادهم ، وكذلك فيما علقه على الكتاب من تعليقات حافلة بالفوائد ، ثم بهذا الاستدراك الذي ذيّل به الكتاب وذكر فيه جملة من أخبار الرحلة في الحديث الواحد ، تعادل أخبار الكتاب الأصل ، استخرجها من بين عشرات الآلاف من التراجم ، مما يدل على ما بذله من الجهد وما لديه من الاطلاع الذي قدم لنا تلك المجموعة من أخبار الرحلة في طلب الحديث الواحد .

وإنا لنأمل أن يوفقنا الله إلى خدمة التراث العلمي الاسلامي وأن نقوم بقسطنا من الواجب نحو هذه الأمة وهو سبحانه ولي التوفيق .

الناشر

أمين دمج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نور السموات والأرض، أنار قلوب عباده بالعلم والعرفان.

وصلى الله على سيدنا محمد منقذ الانسان من ظلمات الجهل والجاهلية إلى نور العلم والايمان.

أما بعد:

فان المرء ليعجب لما يحدثنا به التاريخ عن علماء الاسلام عامة والمحدثين خاصة من أنباء رحلاتهم المضنية التي قاموا بها من أجل العلم، رغم أبعاد السفر الشاسعة، ومشقاته في أيامهم يجتازون العقبات ويستهينون بالصعوبات في سبيل العلم، لا يطمحون من وراء ذلك إلى جاه أو وظيفة يشغلونها، ولا يطمعون في دنيا يصيبونها.

وإن كتاب «الرحلة في طلب الحديث» للامام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، برهان عظيم وآية كبرى في إثبات ما بلغه علماؤنا العظام من علو الهمة وسمو القصد، وشرف الغاية والوسيلة نقدمه للقراء اليوم نستنهض به هم شبابنا المثقف وحمية طلبة العلم ليسلكوا سبيل أساتذتهم الأوائل علماء أمتهم الخالدين ويعيدوا للعالم أشرف سياحة عرفها، هي السياحة للقاء العلماء والتزود من توجيهاتهم والافادة من معينهم العلمي والروحي العظيم.

عثرت على هذا الكتاب في اثناء تطوافي بين مخطوطات « دار الكتب الظاهرية » العامرة ، فلفت نظري طرافة موضوعه ، ثم طالعته فجذبني إليه حسن اختيار مادته ومضمونه ، حيث خصص الامام الخطيب كتابه هذا للرحلة في طلب الحديث الواحد فقط ، لا لطلب الحديث جملة .

فاستنسخت الكتاب ثم قابلته بالنسختين الخطيتين بالدار ، توطئة لتحقيقه ، وتقديمه لشبابنا المثقف ، بل لأهل العلم في كافة الأقطار [١] .

وقد قدمت للكتاب بتمهيد موجز عن اعجاز النبوة العلمي ، لأن مجدنا العلمي والحضاري ، بل مجد العالم إنما هو فرع لما ابتنت عليه هذه الدعوة ، وثمرة لما قامت عليه من تحرير الفكر والعلم من الأغلال . وشرحتُ عناية المسلمين بالمحافظة على الأصل الموجّه لهذه الحضارة ؛ أعني القرآن والحديث ، وما اختصهم الله به من علم لم يعرفه غيرهم ، أعني علم نقد الروايات ، وما بذلوا من أجله من جهود تفوق الوصف والبيان . وعرّفتُ بالخطيب البغدادي ومنهجه العلمي تعريفاً موجزاً ، يبرز جانب العبرة التي نقصدها من نشر هذا الكتاب . ويرد على أعداء المحدثين من المستشرقين ومن يقلدهم في بعض مزاعمهم .

ثم في التعليق على الكتاب خرجت الأحاديث النبوية ، وتكلمت على أسانيدها مراعياً جانب الإيجاز ، ورجعت في ذلك إلى المراجع الأصلية المطبوعة والمخطوطة ، وكان لذلك فائدة كبيرة في جلاء رتبة أحاديث الكتاب وحالها من الصحة أو الضعف ، وفي تحقيق نصها أيضاً ، فقد

---

(١) وستعرفك بهاتين النسختين وبطريقة التحقيق التي سلكناها في آخر التقديم للكتاب إن شاء الله .

استطعت بذلك إزالة الاشكال عن رواية الخطيب لبعض الأحاديث ، حيث وجدت أصول المراجع تشتمل على زيادة تجلو الأمر وتزيل اللبس .

كما أني أوضحت الألفاظ التي تحتاج للتفسير في الاسناد أو المتن ، لجلاء معاني الكتاب .

ثم جعلت خاتمة ذلك زيادة أحاديث وأخبار كثيرة أضفتها إلى الكتاب ، مما لم يذكره الخطيب البغدادي رحمه الله .

وهكذا جاء عملنا ـ إن شاء الله ـ شاملا جوانب الكتاب ، مكملا لفوائده ، وإنا لنرجو أن نكون قد وفقنا إلى ما نقصده من جلاء هذه المأثرة العظيمة من روائع مجدنا العلمي . واستنهاض همم شبابنا المثقف ، وحمية طلبة العلم .

وهو سبحانه سندنا ونعم الوكيل .

وكتب

نور الدين عتر

إعجاز النبوة العلمي

من المعجزات العظمى للنبي محمد بن عبد الله ﷺ معجزاته العلمية، ذلك أن النبي ﷺ أمي لا يعلم قراءة ولا كتابة، ولم يتلق عن أحد علماً من علوم الدين أو علوم الدنيا، وقومه العرب في الجزيرة أميون، عدمت فيهم القراءة والكتابة، إلا ما وجد على قلة وندرة من مبادىء يسيرة جداً للكتابة نقلتها عنهم الآثار.

ومع ذلك فقد جاء بالعلم وبُعِثَ بالمعرفة. حتى كانت أول آيات تنزل عليه هي: « اقرأ باسم ربِّك الذي خلق. خلق الانسانَ من علق. اقرأ وربُّك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم ».

ومن معجزات هذا النبي الكريم، أنه في دعوته القوية الصافية، يأتى بأدلة العقل المستبصرة من الفكر الصحيح، ومن حقائق الكون الراسخة، فالقرآن الكريم يتحدث عن حقائق الكون حديث الخبير بها، ويأتي بها شواهد صدق تُعَرِّف العباد بربهم سبحانه، ولذلك فان الانسانية على مر العصور وتقدمها في العلوم لا تخرج عما قرره القرآن من قواعد الكون العامة التي تدل على أن القرآن لا يمكن أن يصدر إلا من الله، وأن علوم محمد لا يمكن أن تأتي إلا من الله

وخلاصة تلك الأصول الكونية :

١ - أن كل هذه المكونات في الطبيعة في الأرض أو السماء مخلوقة لله ، مقهورة لسلطانه مسيرة ذليلة لقدرته وإرادته . وبهذا بطل ما كان يعتقده أهل الأديان في بعض الجمادات الأرضية أو الكواكب من تأثير في حياة الانسان ، وتحرر الانسان من العبودية لها والخوف منها .

٢ - أنها تدل على وجود الله ووحدانيته ، وصفاته العليا ، بما أودع فيها من عجائب الصنع وآيات الابداع . فأمر بالتفكر فيها والبحث عن مكنوناتها ، وهو بهذا يفتح باب البحث في علوم الكون على مصراعيه ، بل يكلف الناس بهذا ، في الوقت الذي كان العالم كله يعتقد أن ذلك أمر محظور ، وأنه مناوأة لله عز وجل .

٣ - أن كل شيء في العالم يسير بنظام دقيق « الشمس والقمر بِحُسْبان » ، « وكل شيء عنده بمقدار »

٤ - أن كل هذه الكائنات خلقت لمنفعة الانسان ، بل إنها مسخرة له ، علويها وسفليها ، كما قال الله تعالى : « هو الذي خلَقَ لكُم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فَسَوّاهُنَّ سبعَ سماواتٍ ، وهو بكلِ شيءٍ عليم » البقرة : الآية : ٢٩ .

وقال أيضاً : « وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ... » الجاثية : الآية : ١٣ ولقد حملت هذه الأمة مشعل العلم والحضارة ، واضاءت بها العالم كله ، دهراً طويلاً حيث كانت أوروبا تعيش في ظلام دامس ، وكان الفكر العلمي فيها رهن السجون والاغلال ، بل كان الفكر العلمي نهب القتل والاغتيال ، حتى تلمذت على المسلمين ،

وتلقفت منهم حقائق العلم ، والثقة بالعلم ، والتضحية من أجل العلم فتحررت بفضل ذلك وعرفت الطريق نحو الحضارة .

وإذا كانت البشرية قد وصلت اليوم إلى القمر والكواكب ، فإنها مدينة في ذلك لما قرره القرآن في الآيات التي تلوناها ، وفي أمثالها ، بل إن القرآن ليقرر ما هو أبعد من مجرد الوصول إلى القمر ! ؛ يقرر تسخير هذه الكواكب لصالح هذا الإنسان .

ويضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في الحفاظ على الحقيقة العلمية والأمانة ، حين كسفت الشمس يوم مات ولده إبراهيم وكانوا يظنون أن الخسوف والكسوف يقعان بسبب موت عظيم ، أو ولادته . فقال الناس : خسفت الشمس لموت إبراهيم ابن النبي ﷺ ، وإذا بالنبي ﷺ يجمع الناس يصلي بهم ركعتين سنة الكسوف ثم يخطب فيهم يقول :

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا ..... » [١] .

ولقد كان المصاب فاجعاً بالنسبة للنبي ﷺ . حزن من أجله حزناً عظيماً حتى ذرفت عيناه ووقف يقول وهو يودع ولده : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » .

ومن ذا الذي يُرْزَأُ بمثل هذا الخطب ثم لا يرى الدنيا مكتسية ثوب الحداد لرزئه وأن الشمس والقمر تشاركانه الأسى لمصابه .

لكن محمداً الأمين ﷺ يراعي قبل هذا كله ، وفوق هذا كله الحقيقة العلمية التي اطلعه الله عليها ، وإذا به يخطب في الناس ليعظم

---

(١) متفق عليه ، البخاري بلفظه في الصلاة : ٢ : ٣٤ . ومواضع اخرى . ومسلم : ٣ : ٢٧ .

هذه الخرافة التي قيلت مواساة له وتسلية لا حزانه . فكان العلم بالكون وبالطبيعة مديناً لهذا النبي الذي فتح العيون على حقائق الأمور الدينية ومهد السبيل لتقدم العلوم الطبيعية والكونية ، فاستنارت القلوب بدعوته ، وازدهرت الحضارة بشريعته ، وتقدمت علوم الطبيعة والكون بتوجيهات رسالته [١]

اعتناء المسلمين بالحديث والأسناد :

بهذه الروح العلمية النابعة من الاسلام والقرآن حفظت هذه الأمة كتاب الله المنزل إليها ، فنقلته بحفظ الصدور تلقياً عن رسول الله ﷺ بأمانة وثقة وتواتر ، كما نقلته أيضاً بحفظ السطور أخذاً من الصحف التي دُوِّنت بين يدي رسول الله ﷺ . فأدت القرآن إلى العالم بغاية الدقة في تبليغ نصه وكيفية أدائه وتلاوته في كلماته وحروفه ، وإدغاماته وإظهاراته وغُنّاته ، ومداته ، ووقوفه ووصله ... حتى وصل إلينا عبْر القرون غضاً طرياً كما أقرأه رسولُ الله ﷺ أصحابَه ، مما لم يقدر لكتاب غيره .

ثم ذبت الكذب والخلل عن الحديث النبوي بما وضعته من قوانين للرواية هي أصح وأدق طريق علمي في نقل الروايات واختبارها .

وكان من أهم هذه القوانين البحث في إسناد الحديث ، وفحص أحوال الرواة . وقد حث علماء الصحابة الناس على الاحتياط في حمل الحديث ، وعلى التثبت من أحوال الرواة وأن لايأخذوا من الحديث إلا حديث من يوثق به ديناً وحفظاً ، حتى شاعت لدى كافة الناس هذه القاعدة عن الصحابة :

---

(١) انظر التوسع في شرح حديث الكسوف وما يسن فيه وصفة صلاة الكسوف في كتابنا « هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخاصة » ص ١٦٧ ـ ١٧٥ .

« إنما هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذونها [١] » فبعد معرفة رواة الخبر يمكن تفحص أحوالهم ، ومعرفة صحة الخبر من سقمه ، فتشأ بذلك علم ميزان الرجال : « الجرح والتعديل » الذي هو عمود أصول الحديث .

ولقد كان علم السند هذا ابتكاراً في قوانين الرواية وفق الله إليه المسلمين وخصهم به دون الأمم السابقة .

يقول الإمام علي بن حزم [٢] : « نقلُ الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبيَّ ﷺ خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور ... »

ويقول الحافظ أبو علي الجياني : « خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها مَنْ قبلها : الإسناد ، والأنساب ، والإعراب » [٣]

الرحلة في طلب الحديث

ولما كان الحديث النبوي هو المصدر الثاني للاسلام ، وكان منه بهذه المثابة فقد أعطاه العلماء غاية اهتمامهم ، وبذلوا من أجل الحديث وأسانيده كلَّ مافي وسعهم ، حتى رحلوا المسافات البعيدة ، على بعد الشقة وعظم

---

(١) اخرج ذلك ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل : ١/١ / ١٥ بأسانيده عن عدد من التابعين بلفظ : « كان يقال انما هذه الأحاديث ... الخ » . وانظر تفصيل ذلك وبيان موقعه من منهج السلف العلمي في كتابنا « منهج النقد في علوم الحديث » ص ٤٧ ومابعد .

(٢) في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل : ج ٢ ص ٨٢

(٣) تدريب الراوي ص ٣٥٩

المشقة ، طلباً للحديث وبحثاً عن أسانيد الأحاديث ، بل عن إسناد الحديث الواحد . امتثالاً لأمر الله تعالى ، وتحقيقاً لما حث عليه النبي ﷺ المسلمين :

قال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

وقال ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة »[١] .

وقد كانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين ومنهجهم في التحصيل العلمي . قال الإمام ابن الصلاح [٢] : « وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره » . وقال يحيى بن معين : « أربعة لاتؤنسُ منهم رُشْداً : حارس الدرب ، ومنادي القاضي ، وابن المحدث ، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث [٣] » .

ويبدو أثر الرحلة للناظر في أسانيد الأحاديث واضحاً جلياً ، إذا ما تناولنا أي اسناد منها ودرسنا تاريخ رواته نجد في أغلب الأحيان أنهم ينتمون إلى أكثر من موطن ، بل ربما وجدنا كل واحد منهم من بلدة ، جمعت الرحلة في طلب الحديث شتاتهم وقربت بُعْد مابينهم حتى تسلسلوا في قرن واحد في سند الحديث الواحد..!!

أهداف الرحلة عند المحدثين :

وللرحلة أهداف ومقاصد جليلة لدى أهل الحديث نوضح أهمها فيما يلي :

---

(١) من حديث صحيح اخرجه مسلم وغيره .
(٢) في كتابه علوم الحديث ص ٢٢٢ بتحقيقنا .
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٣

١ – تحصيل الحديث :

ولعل هذا أول أسباب الرحلة ، خصوصاً في عهود الاسلام الأولى ومنه جاءت رحلات الصحابة[١] ثم التابعين ، وهكذا ...

وذلك أن الصحابة رضي الله عنهم تفرقوا في البلاد ومع كل واحد منهم علم حمله عن النبي ﷺ ، وإن كان هناك عدد منهم نستطيع أن نقول إنهم كانوا يحملون جملة الحديث ، وهم الذين كان الخلفاء يرسلونهم إلى البلاد دُعاة ومعلمين ، مثل عبد الله بن مسعود في العراق ، وأبي الدرداء في الشام ...

ثم انتشر علم الصحابة في تلامذتهم التابعين وتفرق بينهم ، فاحتاج العلماء إلى تحصيل الحديث من صدور حملته استكمالاً لعلم السنة النبوية . وقد ضرب المسلمون في ذلك مثلاً عالياً ، وبلغوا شأواً عزيز المنال ، حتى رحلوا في طلب الحديث الواحد ، وهاهو ذا كتاب الرحلة الذي بين أيدينا بينة واضحة على هذا المقصد الجليل .

٢ – التثبت من الحديث :

وهذا كان مقصد أبي أيوب رضي الله عنه في رحلته من المدينة المنورة إلى مصر ليتثبت من حديث سمعه من النبي ﷺ لم يبق أحد سمعه غيره وغير عقبة بن عامر[٢]

وكذلك رحل شعبة بن الحجاج من أجل اسناد لحديث فضل

---

(١) رحلاتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما ابتدأناه في مطلع استدراكنا على كتاب الرحلة ، وكذا رحلاتهم إلى بعضهم البعض مما ذكره الخطيب .

(٢) انظر حديثه في الرحلة رقم ٣٤ – ٣٨ .

الوضوء والذكر بعده ، فإن أبا إسحاق السبيعي الذي سمع منه شعبة هذا الحديث مدلّس ، ولم يكشف لشعبة عن حقيقة أمر السند ، وكان شعبة كثير العناية بتتبع المدلسين ، فرحل تلك الرحلة المضنية حتى توصل إلى نتيجة مؤسفة هي سقوط رواة من السند أحدهم مطعون فيه ، فلم يملك نفسه أن قال : « دمّر عليّ هذا الحديث ، لو صح لي هذا الحديث كان أحبّ إليّ من أهلي ومن مالي ومن الدنيا كلها »[١] .

ومن التثبت من الحديث أن يكون عند المحدث أحاديث يرويها فيسمع في رحلته بعض هذه الأحاديث بأسناد تلتقي مع إسناده وتتفق في صيغة المتن المروي أو معناه[٢] أو يسمع أحاديث أخرى في معنى مايرويه[٣] فيطمئن المحدث ويتقوى الحديث حتى يحتج به إن كان فيه ضعف من قبل[٤] ، أو يزداد صحة إن كان من قبلُ صحيحاً[٥] . كما أن تتبع الروايات والأسانيد قد يسفر عن خلل يسقط حديثاً كان يظنه من قبل صحيحاً[٦] .

---

(١) انظر الحديث وتعليقنا الحافل عليه في الرحلة برقم ٥٩ و ٦٠ .

(٢) وهو مايسمى بالتابع أو المتابع والمتابعة .

(٣) ويسميه المحدثون الشاهد . انظر تفصيل البحث في التابع والشاهد في كتابنا منهج النقد في علوم الحديث رقم عام ٧٤ ـ ٧٥ ص ٣٩٤ - ٣٩٨ .

(٤) وهو الحديث الحسن لغيره ، انظر تعريفه وشروطه في كتابنا منهج النقد رقم عام ٣٩ ص ٢٤٩ - ٢٥٢ .

(٥) وقد بحثنا أنواع الحديث الناشئة من تعدد السند مع اتفاق الرواة في كتابنا الامام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين ص ١٢٦ ـ ١٣٢ وزدنا هذا البحث توسعاً في كتاب منهج النقد المبحث الثاني من الباب السابع ص ٣٨٠ ـ ٣٩٨

(٦) انظر أنواع الحديث الناشئة من اختلاف الرواة في رواية الحديث في فصل جامع من كتابنا الامام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين ص ١٣٢ ـ ١٥٠ وكتابنا منهج النقد المبحث الثالث من الباب السابع ص ٣٩٩ - ٤٣٢ . وفيه زيادة توسع وتفصيل .

٣ ــ طلب العلو في السند :

والعلو هو قلة عدد الوسائط في سند الحديث مع اتصال السند ، ويحصل العلو بأن يسمع المحدث حديثاً من راو عن شيخ موجود، فيذهب المحدث إلى ذلك الشيخ ويسمعه منه . وهكذا يقل عدد وسائط النقل في السند .

وللعلو فائدة عظيمة هي أنه يبعد الاسناد من الخلل ، لأن كل رجل من رجاله قد يحتمل أن يقـــع من جهته خلل في النقل ، فإذا قلّت الوسائط تقلُّ جهات الاحتمال للخلل ، فيكون علو السند قوة للحديث[1].

لذلك عني المحدثون بالعلو عناية كبيرة ، وألفـــوا فيه المصنفات وتجشموا لتحصيله المشقات ، حتى رحلوا إلى الأقطار النائية سعياً وراء علو السند ، ما إن يسمع أحدهم بحديث عن محدث في عصره حتى يرحل إليه ليسمعه منه مباشرة .

قال الحافظ أبو الفضل المقدسي[2] : « أجمع أهل النقل على طلبهم العلو ومدحه ، إذ لو اقتصروا على سماعه بنزول لم يرحل أحد منهم » .

وقال الامام أحمـــد بن حنبل : « طلب الاسناد العـالي سنة عمن سلف » .

وقيل ليحيى بن معين في مرض موته : « ما تشتهي ؟ » . قال : « بيت خالي ، وإسناد عالي ! »[3] .

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٣١ وانظر منهج النقد في علوم الحديث ص ٣٣٥ رقم عام ٥٩ .

(٢) هو محمد بن طاهر ، انظر كلمته هذه في « مسألة العلو والنزول » ق ٥/آ.

(٣) علوم الحديث ص ٢٣١ .

وقيل للامام أحمد بن حنبل : أيرحل الرجل في طلب العلو ؟

فقال : « بلى والله شديداً ، لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه [١] » .

وقال أبو العالية : « كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ ونحن بالبصرة فما نرضى حتى نركب إلى المدينة فنسمعها من أفواههم .. » [٢] .

وغير ذلك كثير جداً .

٤ ـ البحث عن أحوال الرواة :

وذلك لأن معرفة أداء الراوي للحديث كما سمعه هو المقصد الذي عليه مدار هذا العلم ، ومن أجله بُذِلَتْ كل الجهود ، ووضعت قواعد النقد ، فكان لابد من تقصي أحوال الرواة وأخبارهم حتى يتميز مقبولهم من مردودهم ، وقد قلنا في كتابنا « منهج النقد » [٣] : « ولولا ما بذله الأئمة النقاد في هذا الشأن من الجهود في البحث عن عدالة الرواة واختبار حفظهم وتيقظهم حتى رحلوا في سبيل ذلك وتكبدوا المشاق ثم قاموا في الناس بالتحذير من الكذابين والضعفاء المخلطين لاشتبه أمر الإسلام واستولت الزنادقة ولخرج الدجالون » .

وحسبنا دليلاً على أهمية هذا البحث تلك العلوم الكثيرة التي تبحث

---

(١) المرجع السابق ٢٢٣ ، وانظر المستدرك على الرحلة رقم ٩٢

(٢) اخرجه الخطيب في الرحلة برقم ٢١ .

(٣) ص ٨٤ رقم عام /٢/ .

في الرواة من كل جهات البحث فيهم ، والتي بلغت أصولها ثلاثين علماً[1] !!

ومن أمثلة الرحلة لهذا الغرض سعي الإمام يحيى بن معين إلى أبي نعيم الفضل بن دكين ليختبر حفظه وتيقظه حتى شهد له انه قد بلغ الغاية في ذلك[2] .

ولو أن الناس وطلبة العلم عنوا في هـذا العصر بهذين المقصدين (الثالث والرابع) في حق المؤلفات الحديثة ، ورجعوا إلى (المؤلف) مصدر الفكرة المنشورة ، يبحثون حاله كما كان السلف يفعلون لوجدوا كثيراً من أصحاب الكتـب لايستحق القراءة له ، ولاكتفوا شراً كثيراً [3] لكنه القعود والاخلاد إلى الراحة جعل للمطبعة ولدعاية الناشرين التجارية قوة لم تكن تكسب من قبل بالشهرة المفتعلة أو الألقاب المصطنعة ، حيث كانت الرحلة للقي الرجال تكشف خباياهم .

٥ ـ مذاكرة العلماء في نقد الأحاديث وعللها :

وهو فن جليل يحتاج إلى عمق النظر وتقصي الأسانيد والروايات، لذلك قال العلماء إن التعمق فيه وتحصيل الملكة العلمية لايتم إلا بالمجالسة والمذاكرة ولقاء جهابذة الفن .

---

(١) وقد جمعناها مبوبة مفصلة إلى أقسامها بحسب جهة البحث في الرواة وتقسيمها تقسيماً مبتكراً في كتابنا منهج النقد في علوم الحديث ص ٦٦ ـ ١٧٣ فانظر دراسة قواعدها فيه.

(٢) انظر خبر هذه الرحلة الطريف في المستدرك على الرحلة برقم ١٠٦ .

(٣) لذلك نرى أن يحتاط المسلم وطالب العلم لدينه من كتاب لم يتوثق من ورع مؤلفه ورسوخه العلمي ، وأن يحرص على التلقي المباشر من العلماء الذين عرف من ورعهم وعلمهم مايجعلهم أهلا للقدوة ، فان الأمر خطير ، جد خطير .

قال الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية[١] « ولو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل كَتَبة الحديث وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بَعُدَ من الأقطار، للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق ..»

وكان سفيان بن عيينة بمكة يرحل إليه علي بن المديني من العراق للمذاكرة في ذلك ، فقال ابن عيينة : « يلومونني على حب علي ابن المديني والله لما أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني ... » وقال يحيى القطان : « أنا أتعلم من علي أكثر مما يتعلم مني » .

وكان الإمام أحمد بن حنبل يصلي من الليل مائة ركعة وأكثر ، فإذا زاره يحيي بن معين اكتفى بالقليل من النافلة وجلس للمذاكرة مع يحيى ، فقال له ابنه في ذلك ؟ فقال : « يابني إن مايفوت من النافلة يدرك ، لكن إذا فات ما عند هذا الفتى لايدرك » .

ومن روائع نتائج الرحلة ما أفاده الامام الترمذي في علل الحديث من الامام البخاري ، وهذا كتابه « العلل الكبير » شاهد صدق بذلك لكثرة نقوله عن الامام البخاري في معظم أحاديث الكتاب . وقد صرح الترمذي في آخر جامعه بإفادته من هذه المباحثة فقال : « وما كان فيه – يعني الجامع – من ذكر العلل في الأحاديث والرجال والتاريخ فهو ما استخرجتُه من كتب التاريخ ، وأكثر ذلك ماناظرتُ به محمد ابن إسماعيل – يعني البخاري –..»[٢] .

---

(١) ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ طبع الهند .

(٢) آخر جامع الترمذي المشهور بـ « سنن الترمذي » . وانظر كتابنا الامام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين ص ١٧ ـ ١٨ ، و ٢٦٧ .

فوائد الرحلة

وهي فوائد عامة نضيفها إلى ما سبق من أغراض الرحلة عند المحدثين نستثير بها عزائم الشباب حتى يتخطوا الصعاب ، وتخف عليهم أعباؤهـا المالية ومشقاتها :

من هذه الفوائد :

١ ــ التمكن من الجوانب العلمية :

وذلك أن الانسان يتأثر ببيئته ومحيطه ، وقد تتحكم فيه المألوفات التي عاش بينها ، فإذا رحل إلى بيئة أخرى ألفى مشاكل جديدة تُبحث ، أو آراء جديدة في مسائل سبق له أن درسها ، فيتسع أفقه واجتهاده بدراسة الجديد من المسائل أو الجديد من الآراء ، وكثيراً ما يؤدي ذلك إلى تغيير في آرائه واجتهاداته بعد أن كان سار عليها زمناً لا يحيد عنها ، وهذا الفقه الشافعي برهان ساطع على ذلك ، فإن من المعروف المشهور أن للامام الشافعي مذهبان : المذهب القديم ، والمذهب الجديد ، والمذهب الجديد يختلف في مسائل جوهرية كثيرة عن القديم ، وقد صار إليه الشافعي بعد رحلته إلى العراق ، حيث لقي الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة ، ولقي تلامذة أبي حنيفة ، وغيرهم من العلماء .

وقد أبان العلامة ابن خلدون هذه المزية في فصل خاص مختصر [١] نسوقه بنصه . وهو : أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم .

---

(١) هو الفصل الرابع والثلاثون ــ من مقدمة ابن خلدون ــ (من أقسام الفصل السادس من الكتاب الأول) في أن الرحلة في طلب العلوم ...«...إلى آخره ص ٤٧٨ .

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقي أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها . والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين ، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها ، فيجرد العلم عنها ، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل ، وتنْهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات وتصحح معارفه وتميزها عن سواها ، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم .

وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهدايه ، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » . انتهى

٢ – نشر العلم الذي حصله العالم :

وذلك أن العالم كثيراً ماينبغ في بلد يضيق عن حمل نبوغه ، لعدم توفر الكفاءات أو لقلة اهتمام أهل البلد بهذا الفن أو الاختصاص ، فيرحل إلى مدينة تكون أوسع مجالاً للآراء الخطيرة ، أو أشد حاجة ، فتعظم مكانته ويكثر الانتفاع بحكمته ، ولولا الرحلة لما عظم شأنه ولما كثرت ثمرات نبوغه ، وهذا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، عند خروجه من الشام بالكرك فتلقاه صاحبها وسأله الاقامة عنده ، فقال له الشيخ : « بلدك صغير عن علمي » . وتوجه إلى القاهرة .

وقد تكون رحلة العالم أو الأديب من أسباب ظهور علمه أو أدبه وانتشاره في الآفاق .

قال الأديب أبو بكر المعروف بابن بقي :

ولي هِمَمٌ ستقذف بي بلاداً نأت إما العراقَ أو الشآما
لكيما تحمل الركبانُ شعري بوادي الطلح أو وادي الخُزاما
وكيما تعلم الفُصحاء أنّي خطيبٌ علَّمَ السجعَ الحماما
وقد أطلعتُهُنَّ بكل أرضٍ بدوراً لا يفارقْنَ التماما

٣ ـ اتساع الثقافة العامة :

وذلك لكثرة احتكاك الانسان بالجديد عليه من الناس وما لديهم من عادات وثقافة وحكم وأمثال ونوادر ، فيتأثر بذلك وينطبع في نفسه حتى تتكون لديه من كل رحلة ولقاء فائدة أو يحفظ حكمة أو نكتة ، أو تقع له حادثة طريفة ، فيحفظ ذلك كله ويصبح له زاداً يجتذب إليه الناس بالحديث عنه ، وفي الناس حب التطلع لأخبار غيرهم ومعرفة ما لم يألفوه من أحوالهم ، لذلك احتل الرحالون مراكز الصدارة في المجالس واجتذبوا الناس إليهم بما يحكون من أنباء رحلاتهم العلمية ، وما يذكرون من أحوال مشايخهم وأخبار أساتذتهم . ومن مشاهداتهم الاجتماعية ، ولطائف الحكم وطرائف النكت التي سمعوها ، والوقائع العجيبة التي صادفوها .

٤ ـ تنمية الفضائل والكمالات في النفس :

وقد كان هذا غرضاً يرحل اليه الراحلون ، يقصدون أهل الفضل للتأسي بأحوالهم وصفاتهم .

قال الامام العالم الحافظ الزاهد أحمد بن فرح الاشبيلي [١] في الامام النووي :

(١) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١٤٨٦ .

« الامام محيي الدين قد صـــار إلى ثلاث مراتب ، كل مرتبة لو كانت لشخص لشُدَّت إليه الرحال : العلم ، والزهد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[١] .

ورحل الامام الكبير الحافظ يحيى بن يحيى بن بكير التميمي[٢] إلى الامام مالك بن أنس للسماع منه ، وبعد أن أتم ذلك بقي عند مالك ، وقال : « أقمت لأستفيد من شمائله » .

كما أن الانسان في الرحلة تتغير مألوفاته وعاداته ، فيكتسب بمواجهة ذلك أخلاقاً طيبة تغرسها الرحلة في النفس ، مثل خلق الصبر لكثرة ما يلاقيه الراحل من متاعب بدنية وآلام نفسية لفراق الأحبة ، ومثل أدب المداراة ، فإن البعيد عن وطنه أشد شعوراً بالحاجة إلى هذا الأدب ممن يعيش بين قوم يعرفون من حسبه ومكانة بيته ما يجعل صراحته خفيفة على أسماعهم .

وهذا التلقي الفضائل من الأكابر يفتح رحاب الصدر للاختلاف . حيث يعذر كل واحد الآخر في خطته أو في اجتهاداته وآرائه ، ولا يتسرع للحط من مخالفه أو الطعن عليه بالابتداع أو الضلال .. !!

٥ ـ كسب صداقات جديدة خالصة :

والصداقة الخالصة من ألذ ما يتمتع به الانسان في الدنيا ، وقد ذكر الله تعالى من نعيم أهل الجنة أن متعهم بمحبة بعضهم لبعض « ونزعنا ما في صدورهم من غِلّ إخواناً .. » .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٤٧٠ ـ ١٤٨٦ ، وانظر دراسة عن النووي في كتابنا « دراسات تطبيقية في الحديث النبوي » ص ٣٧٦ وما بعد .

(٢) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ص ٤١٥ .

والرحلة وسيلة نافعة في كسب أصدقاء جدد يتعرف عليهم ، ويعرّف بهم أهل بلده ، ويتحدث عن فضائلهم ومحاسنهم في مجالسه ، فيؤدي ذلك إلى تعارف الشعوب وتحابها . وقد كان المسلمون على غاية التحابب ، والتعاون حيث كانت البلاد الاسلامية كلها مفتوحة للمسلم ، لا تضيق به الدنيا ، ولا تعسر عليه المعيشة ، ولا ينتهي مدى جناحه على الأرض . وهذه مصادر الأدب فيها الكثير من مراسلات الأصدقاء النثرية وقصائدهم الشعرية [١] .

وغير ذلك من فوائد يستزيد من تعدادها المجرب ويذوق حلاوتها لما فيها من تجديد في الشخصية ، وفي رؤية الحياة :

إن السفر
كنز العبر
فارحل ترى الآفاق أبهج منظراً
وترى الربيع البكر يرتاد القرى
وسنا الشباب بنبض روحك قد سرى [٢]

وما أحسن قول الشاعر الحكيم أبي تمام :

وطولُ مقام المرء في الحيّ مُخْلِقٌ لديباجتيه فاغتربْ تتجددِ
فاني رأيتُ الشمس زيدت محبة إلى الناسِ أنْ ليست عليهم بسرمدِ

---

(١) انظر رسائل الاصلاح لفضيلة الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله ج٢ ص ١٩٠ ومابعد . وانظر مناظرة حول الرحلة في كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي ص ٢١٦ وما بعد .

(٢) عن قصيدة « شيخ الفجر » (ص ٦١) من ديوان « عودة الغائب » للشاعر الاستاذ محمد الحسناوي .

آداب الرحلة

وهي أصول ينبغي مراعاتها حتى تؤتي الرحلة ثمارها وتتحقق أهدافها أياً كان العلم الذي يرحل فيه الطالب ، ونجمل لك أهمها فيما يلي :

١ - أن يقدّم السماع من علماء بلده على الرحلة للآفاق ، فهو أيسر وأقل كلفة ، وأمكن له في التثبت مما يسمع وتدوينه وضبطه ومراجعة ما يشكل منه ، ولا يستخفنّ طالب العلم بأساتذة بلده ، شأن بعض الغافلين يرى أحدهم الدرهم في بيت جاره خيراً من الدينار في بيته . فإذا فرغ من التلقي عن علماء بلده عزم على الرحلة وسلك سبيلها [١] .

٢ - حسن اختيار أماكن الرحلة ؛ بأن تكون عامرة ببعض العلماء أو الفضلاء ممن يفاد منهم . وكان العلماء يعتنون بذلك ويستشيرون فيه ، كما ستراه في تقديمنا هذا من استشارة الخطيب شيخه أبا بكر البرقاني في الرحلة ، ويأتي في كتاب الرحلة [٢] عن أحمد بن حنبل وقال له رجل : عمن ترى أن يُكتَبَ الحديثُ ؟ فقال له : « أخرج إلى أحمد بن يوسف فإنه شيخ الإسلام » .

وعن معمر قال : قال لي أيوب : « إن كنت راحلاً إلى أحد فارحل إلى ابن طاوس وإلا فالزم تجارتك » [٣] .

٣ - أن يهتم بكثرة المادة العلمية المتلقاة ، وكثرة المسموع مما ليس عنده من الأسانيد والمتون ، ويقدم ذلك على الاستكثار من الاساتذة ،

---

(١) كما صرح المحدثون بذلك ، انظر علوم الحديث ص ٢٢٢ ، وشرح النخبة ص ١٥٤ بحاشية لقط الدرر وشرح الشرح ص ٢٦٦ .

(٢) برقم ١٨ .

(٣) كما في الرحلة أيضاً رقم ١٩ .

قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة [١] : « ثم يرحل فيحصل في الرحلة ما ليس عنده ، ويكون اعتناؤه بتكثير المسموع أولى من اعتنائه بتكثير الشيوخ » .

وفي شرح الشرح [٢] : « ويكون اعتناؤه أي وينبغي أن يكون اهتمام الطالب بتكثير المسموع أي في الحديث أكثر من اعتنائه بتكثير الشيوخ ، أي والأسانيد ، لأن المقصود الأصلي أولى هو الدراية لا مجرد الرواية ، نعم قد يحتاج إلى تكثير الرواية لتصحيح الدراية » .

٤ - أن يعتني بالمذاكرة مع المحققين لتمكين التعمق في العلم ، وذلك بأن يحضّر ما توصل إليه من آراء أو علاج لمشكلات العلم ، فيلقيه على أهل التحقيق والدقة ، ويعرض عليهم ما وقع له من استشكال ، فيكسب بذلك آراءاً جديدة تزيده تمكناً وتعمقاً ، أو تزيح ما وقع له من إشكال ، وهي فائدة هامة يكمل بها العالم ويسمو . وينبغي عدم التساهل في ذلك ، وأن يستكثر من الاساتذة الذين يعرض عليهم هذه الأمور إن اقتضى الأمر ، كما يستكثر الباحث من الرجوع إلى المصادر المكتوبة في المسائل العويصة حتى يحلها ، والمصادر الحية (الاساتذة) أهم من الكتب لعلاج المشاكل فيما لمسناه ، لأنها تقدر على تتبع الخواطر ومناقشاتها إلى النهاية .

٥ - مراعاة الآداب العامة في السفر : وهي مطلوبة من كل مسافر خصوصاً صاحب الرحلة لطلب العلم ، أو لتحصيل شيء من خصال

---

(١) ص ١٥٤ نسخة لقط الدرر .

(٢) للشيخ علي القاري ص ٢٦٦ ، ونحوه في لقط الدرر نفس المكان .

الخير ، فهو أحرى بمراعاتها وأجدر . ومن أهمها المداومة على الطاعات والعبادات وذكر الله تعالى ، والسخاء بالمال ، ثم تحمل متاعب السفر والطريق والصبر على الرفاق ، وغير ذلك من آداب وسنن لا نطيل بذكرها هنا [١] لكنا نذكّر بتأكيدها لما لها من أثر كبير في النفس يهذبها ويكسبها فضائل تسمو بها ، حتى كان كثير من الأكابر يرحلون لمجاهدة أنفسهم على تلك الخصال .

تاريخ الرحلة في طلب الحديث

سلك المسلمون سَنَن الرحلة في طلب العلم والحديث من وقت مبكر جداً ، بدأ منذ عصر النبوة ، وكتاب الرحلة هذا وثيقة هامة تثبت ذلك بما أخرج فيه الخطيب البغدادي من الأحاديث الصحيحة في ذلك ثم بما خرجناه في المستدرك عليه . الأمر الذي يدل على الأهمية البالغة للرحلة في طلب العلم ، وطلب الحديث خاصة ، ويدل على تلك القوة الدينية الايمانية العظيمة التي دفعت المسلم إلى أن يزعج نفسه ويجشمها أعظم المشقات في سبيل الحديث ابتغاء رضوان الله تعالى .

لكن بعض المستشرقين مثل (جولد تسهير) وتابعه (ليون بورشيه) يؤرخ الرحلة تاريخاً مختلفاً تماماً عما أثبتته الوثائق والدلائل العلمية .

يقول بورشيه في تلخيص لكلام جولد تسهير [٢] :

---

(١) ذكرنا مهمات منها في كتابنا « الحج والعمرة في الفقه الاسلامي » في موضوع « مستحبات السفر وأدعيته » من فصل « كيفية الحج والعمرة ... » ص ١٨٧ـ١٩١ .

(٢) في كتاب « دراسات في السنة الاسلامية » تاريخ العصر الأموي الفقرة رقم ٣ .

« الطابع الدنيوي الخالص للسيطرة الأموية :

يسمى هذا الطابع « الملك » وقد اعتبره الاتقياء موقفاً سيئاً ، وبما أن الأشخاص الأتقياء كانوا قد عزلوا عن الحياة العامة من قبل القادة فإنهم قد أعطوا كل ما عندهم للدراسة المتعمقة للشريعة الإسلامية ، وفتشوا عن سنة النبي في أي مكان يمكن أن توجد فيه ؛ وهذه بداية الرحلات في طلب الحديث » انتهى .

والواقع أن دلائل كثيرة جداً تثبت بطلان هذا الزعم ، نذكر منها :

١ ـ ما أشرنا إليه من رحلة الصحابة إلى النبي ﷺ ، مثل ضمام ابن ثعلبة ، فان التحقيق في خبره يدل على أن الاسلام دخل قلبه قبل لقائه للنبي ﷺ لكنه جاء ليسمع من النبي ﷺ ما كان بلغه عنه .

٢ ـ ما هو ثابت من رحلات التابعين في عصر صدر الخلافة الراشدة ، كما سبق [١] أن ذكرنا من « أن علقمة والأسود كانا يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه » وهو أثر صحيح ظاهر الدلالة على أن الرحلة في طلب الحديث الواحد وجدت قبل عصر الأمويين بزمن بعيد ، فكيف بطلب مجموعات من الحديث ، وقد احتج بهذا الأثر الامام المحدث الحافظ الجليل أبو عمرو ابن الصلاح على سنية الرحلة وأهميتها في طلب الحديث [٢].

---

(١) في صفحة ٢١ وانظر آثاراً أخرى تأتي في الرحلة برقم ٢٠ و ٢١

(٢) أذكر أنني التقيت في مطلع الربيع ١٩٧٣ في المجمع العلمي في دمشق بالمستشرق الدكتور « يوسف وان إس » رئيس قسم اللغة العربية بجامعة توبنجن بألمانيا ، وهو من كبار المستشرقين العصريين ، وله إشراف على عدد من رسائل الدكتوراه لطلاب عرب !! وأفادني بعض الأصدقاء أنه يعتبر الآن عميد المستشرقين .

=

٣ - ان وقوع الرحلة منذ عهد سابق على الأمويين (على زعم أن الأتقياء عزلوا عن القيادة في عصر الأمويين وهو زعم غير مسلم به) يدل على أنه لا صلة لهذه القضية بانتزاع القيادة من الأتقياء كما زعم ، وإنما هو الدافع العلمي الديني لخدمة الاسلام والتورع في استخراج أحكامه ورواية أحاديث النبي ﷺ .

٤ - أن جولد تسيهر ومن تبعه في هذا الزعم الفاسد قد خاط في فهم الانتقاد للحكام الذي يبلغ أحيانا درجة من الشدة ، والذي كان أئمة المسلمين

= وقد قلت للدكتور يوسف وان إس : إنني أرى من اللازم أن لا يقلد المستشرقون الآن ما كتبه أسلافهم عن الإسلام وخصوصاً « جولد تسيهر » الذي لحظنا له أثراً كبيراً بين المستشرقين وذلك لأن الدراسات العلمية تثبت وقوعه في أخطاء كثيرة واضحة . .

فتساءل عن ذلك ؟

قلت له : «أذكر على سبيل المثال بمناسبة هذا اللقاء أن جولد تسيهر أرخ الرحلة في طلب الحديث بوقت متأخر في عصر الأمويين لظروف سياسية ... » مع أن ثمة دلائل صحيحة ثابتة تبرهن على خلاف ذلك وتثبت أن الرحلة في طلب الحديث كانت قبل ذلك بكثير » .

وألقيت عليه هذا الاستدلال برحلة علقمة والأسود للسماع من عمر رضي الله عنه ، فحملق فيّ الدكتور يوسف ، وقال : أهذا صحيح ؟!.

قلت : نعم ، وهو ثابت في كتاب علوم الحديث للامام ابن الصلاح .

فلم يُجِبْ .

وأسجل بهذه المناسبة أمنيتي هذه تأكيداً لما ذكَّرْتُ به الدكتور وان إس بضرورة تحرر المستشرقين من تقليد سابقيهم إذا أرادوا الحقيقة العلمية . فهل تتحقق هذه الأمنية ؟!!.

يقومون به ، فجعل ذلك سعيا للوصول إلى السلطة ومنافسة على المنصب ، من أناس عزلوا عن المناصب ، وإنما كان العلماء العاملون يفعلون ذلك قياماً بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فرضه الله على المسلمين ، وبلغوا به رتبة الأفضلية على الأمم ، كما قال تبارك وتعالى : « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

لكن جولد تسيهر تجاهل مجموعة النصوص الضخمة في القرآن والسنة حول هذه الفريضة ليجعل هذا النقد ذا صبغة دنيوية سياسية ، وكأنه في ذلك يخضع لقيمه الشخصية المادية أو بيئته .

٥ ـ أن أعلام الرحلة في طلب الحديث منذ عصر الصحابة وما بعده من العصور كانوا بعيدين أشد البعد عن المطامح السياسية أو محاولة انتزاع السلطة ، بل كانوا أبعد الناس عن التطلع إلى الدنيا ومتاعها أو مناصبها وهذه أسماؤهم في أخبار الرحلة لطلب الحديث الواحد قد عرفنا بهم في تعليقنا على الكتاب تدل أبلغ دلالة على أنه لاصله لمسألة الرحلة في طلب الحديث بشيء من مؤثرات الدنيا ، وإنما هو وهمٌ نسجه خيال أوروبي لايؤمن بشيء غير النفع الدنيوي ، . . ! ! أولا يصبر على ثبوت فضيلة للمسلمين ! !

٦ ـ أن طلب العلم الشرعي عامة وطلب الحديث خاصة عبادة عظيمة ، وقربة إلى الله سبحانه وتعالى . وقد حض الله عز وجل وحض النبي ﷺ على طلب العلم وعلى الرحلة من أجله ، ورغب بجزيل الأجر ورفيع المنازل والدرجات عند الله . ومعلوم ما كان المسلمون عليه من الحرص

الشديد على مصلحة دينهم والتقرب إلى ربهم عز وجل فكيف يكون طلبهم للحديث مشوبا بنزعات النفس ، واطماعها الدنيوية ؟ ! ، خصوصا وقد وردت النصوص الكثيرة جداً في الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية [١] في التحذير من الرياء والتخويف الشديد منه ، وأنه يحبط الأعمال ، بل يعرض صاحبه لشديد العذاب عند الله :

قال تعالى : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحداً » .

وقال يصف المنافقين : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُراءون الناس » .

وقال أيضاً : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يُراءون ويمنعون الماعون » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن أولَ الناسِ يُقْضَى يوم القيامة عليه رجـــل استُشْهِد . فـأتيَ به فعرَّفه نعمه فعرَفها . قال : فمـا عملتَ فيها ؟ قال قاتلتُ فيكَ حتى استُشْهِدْتُ . قال : كذبْتَ ! ولكنك قاتلتَ لأن يقالَ جريء ، فقد قيل . ثم أمِرَ به فُسحب على وجهه حتى ألقي في النار .

ورجل تعلَّم العلمَ وعلَّمه وقرأ القرآن ، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرَفها ، قال : فما عملتَ فيها قال : تعلمتُ العلم وعلمتـــه وقرأتُ فيكَ القرآن . قال : كذبتَ ! ولكنك تعلمتَ ليقال : عالم ، وقرأتَ

---

(١) انظر تفصيل البحث في خطورة الرياء في كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي ج ٣ ص ٢٨٥ — ٣٢٦ .

القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقيَ في النار .

ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرّفه نعمه فعرّفها ، قال : فما عملتَ فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تحبّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك . قال : كذبتَ ! ولكنك فعلتَ ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار » . أخرجه مسلم [١]

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تعلموا العلمَ لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ، ولا لتخيّروا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنارُ النارُ » . أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم [٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« من تعلم علماً مما يُبْتَغَى به وجهُ الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرَضاً من الدنيا لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة » يعني ريحها . أخرجه أبو داود وابن ماجه [٣] .

★ ★ ★

(١) في الإمارة (باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار) ج ٦ ص ٤٧ .

(٢) ابن ماجه برقم ٢٥٤ ، وموارد الظمآن ص ٥١ ، والمستدرك ج ١ ص ٨١ وقد اختلف في ارساله ووصله ، والراجح وصله لثقة راويه يحيى بن أيوب ، وقد أخرج الحاكم وابن ماجه ما يشهد لوصله . وانظر المغني في الضعفاء رقم ٦٩٣١ ، وكتابنا منهج النقد في علوم الحديث رقم عام ٦٨ ص ٣٧٥ ، فقد تكلمنا فيها على سنده .

(٣) أبو داود في العلم (باب طلب العلم لغير الله تعالى) ج ٣ ص ٣٦١ ، وسكت عليه وما سكت عليه أبو داود فهو صالح . وابن ماجه (باب الانتفاع بالعلم والعمل به) ص ٩٢ ــ ٩٣ ــ رقم ٢٥٢ ونحوه قريباً منه عند الترمذي عن ابن عمر ج ٥ ص ٣٣ ، وابن ماجه . وغير ذلك أحاديث كثيرة جداً في مصادر السنة اكتفينا منها بما وقع لنا سريعاً .

الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب

هو الإمام المحدث الحافظ الحجة الثبت المؤرخ أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي .

ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة هجرية في بيت علم ودعوة ، فقد كان والده أحد حفـاظ القرآن ، تولى الامامة والخطابة على المنبر بقرية « درزيجان » قرب بغداد [1] . وقد حرص على ولده وتعهده وبث فيه روح العلم والتقى فعلمه القراءة والكتابة وحفظ القرآن والقراءات ، ثم أخذه ليسمع الحديث سنة ٤٠٣ هـ في جامع بغداد .

لكن الخطيب انصرف بعد هذا إلى الفقه ، فتفقه بكبار الفقهاء الشافعيه ، كأبى حامد الاسفرائيني ، وأبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري ، وأحمد بن محمد المحاملي . ثم لم يلبث أن عاود مجالس الحديث ، وهو في الثامنة عشرة من عمره .

وأكبّ على شيوخ الحديث ببغداد يكتب عنهم ، لا يدع منهم أحداً ، ثم أخذ في الرحلة ، فرحل إلى البصرة عام ٤١٢ وسمع مشايخها ، وأخذ عن أهل الكوفة ما عندهم من الحديث . وعاد إلى بغداد وقد ظهر نبله وفضله ، وأصبح محل ثقة علمائها وثنائهم ، لكنه لم يرض إلا أن يستمر في التزود من العلم ، فعزم على الرحلة إلى البلدان القاصية .

وكان في بغداد شيخه الامام المحدث أبو بكر البَرْقاني فاستشاره في أمره . قال الخطيب :

---

(١) وهي قرية كبيرة جنوب غربي بغداد .

« أول ما سمعت في المحرم سنة ثلاث ، واستشرتُ البرقاني في الرحلة إلى عبد الرحمن بن النحاس بمصر ، أو أخرج إلى نيسابور ؟ فقال : إن خرجت إلى مصر إنما تخرج إلى رجل واحد ، إن فاتك ضاعت رحلتك ، وإن خرجْتَ إلى نيسابور ففيها جماعة إن فاتك واحد أدركت من بقي ، فخرجتُ إلى نيسابور .... وكنتُ كثيراً أذاكر البرقاني بالأحاديث فيكتبها عني ويضمنها جموعه ، وحدث عني وأنا أسمع » .

ولم تحدد لنا المراجع التي بين أيدينا مدة هذه الرحلة ، لكنا نقدر أنها استمرت أربع سنوات إلى سنة ٤١٩ . لأنهم ذكروا أنه في هذه السنة ذاكر ببغداد شيخه الكبير الامام البرقاني بعض ما يرويه ، وكانت رحلته رحلة واسعة غزيرة الفوائد طوّف فيها على العلماء في نيسابور وغيرها من بلدان ذلك الاقليم ، فدخل الري وخراسان ورحل إلى اصبهان وهمذان والجبال والدينور . وحصل في رحلته هذه علماً كثيراً بذكائه وحافظته الفذة وجده ودأبه ، حتى رجع وقد أصبح إماماً كبيراً في العلم بالحديث .

وأقام ببغداد يُسمع الناسَ حديث رسول الله ﷺ . ويأخذ عنه العلماء والكبار حتى أن شيوخه قد أخذوا عنه كالبرقاني وغيره .

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ [١] يعدد أشهر شيوخه :

« سمع أبا الحسن بن الصلت الأهوازي وأبا عمر بن مهدي وأبا الحسين ابن المتيم والحسين بن الحسن الجواليقي وابن رزقويه وابن أبي الفوارس وهلال الحفار وإبراهيم بن مخلد الباخرحي والموجودين ببغداد .

وارتحل سنة اثنتي عشرة إلى البصرة فسمع أبا عمر القاسم بن جعفر

---

(١) ص ١١٣٦ .

الهاشمي راوية السنن ، وعلي بن القاسم الشاهد ، والحسن بن علي النيسابوري ، وسمع بنيسابور أبا القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج والقاضي أبا بكر الحيري وطبقتهما . وسمع بأصبهان أبا الحسن بن عبد كويه ومحمد بن عبد الله ابن شهريار وأبا نعيم الحافظ وطبقتهم .

وسمع بالدِّينَوَر أبا نصر الكسار وطائفة . وبهمَذَان محمد بن عيسى وطائفة . وبالكوفة ، والرَّيّ ، والحرمين ، ودمشق ، والقدس وصور وغير ذلك » .

ثم قال الذهبي يذكر أعلاماً من تلامذة الخطيب :

« روى عنه البرقاني شيخه ، وأبو الفضل بن خيرون والفقيه نصر المقدسي ، وأبو عبد الله الحميدي وعبد العزيز الكتاني وأبو نصر بن ماكولا وعبد الله بن أحمد السمرقندي والمبارك بن الطيوري ، ومحمد بن مرزوق الزعفراني وأبو بكر بن الخاضبة وأبيّ النرسي وأبو القاسم النسيب وهبة الله ابن الأكفاني وعليّ بن أحمد بن قيس الغساني ومحمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي ، وأبو الفتح نصر الله بن محمد المِصِّيصي وعبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل الاسفرائيني وهبة الله بن عبد الله الشروطي وأبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي ، وعبد الرحمن بن محمد الشيباني القزاز وأبو منصور ابن خيرون المقرىء ويوسف بن أيوب الهمذاني نزيل مصر ... وخلق يطول عددهم ... » . انتهى .

وعلى الرغم مما حصل للخطيب من العلم الغزير ظل حريصاً على الازدياد من فوائده ، فكان يسعى السعي الحثيث لعلو الاسناد .

وفي سنة ٤٤٤ خرج من بغداد إلى الحج فعرف الناس منه في

طريقه غاية التعبد والحرص على نشر العلم ، قال أبو الفرج الاسفرائيني : « كان الخطيب معنا في طريق الحج ، فكان يختم كل يوم ختمة إلى قرب الغياب قراءة ترتيل ، ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب يقولون حدثنا فيحدثهم » .

وغلبته في طريقه غريزة المحدثين في السماع ، فدخل دمشق سنة ٤٤٥ وسمع بها ، ثم دخل صور فسمع بها أيضاً على بعض الشيوخ [١] .

وفي مكة سمع من القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزية ، وكان سماعها لهذا الكتاب أقدم سماع في عصرها . وذكر الخطيب عن نفسه أنه لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث شربات وسأل الله ثلاث حاجات أخذاً بالحديث : « ماء زمزم لما شرب له » [٢] فالحاجة الأولى : أن يحدث بكتابه تاريخ بغداد في نفس مدينة بغداد ، الثانية : أن يملي الحديث بجامع المنصور ، الثالثة : أن يدفن عند بشر الحافي . وقد قضى الله له ذلك وأجاب دعاءه .

إمامته وتصدره مجالس الحديث :

في إثر عودة الخطيب إلى بغداد أذن له الخليفه أن يملي الحديث بجامع

---

(١) كتاب الخطيب البغدادي ص ١٢٧ نقلا عن ابن قاضي شهبة في المنتخل من تاريخ بغداد ١/١٣٨ و ٢/١٣٦ و ١/١٣٧ .

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه عن جابر ص ١٠١٨ رقم ٣٠٦٢ ، والحاكم في المستدرك : ١ : ٤٧٣ عن ابن عباس بأطول من هذا ، وأخرجه غيرهما أيضاً . وقد روى الحديث من طرق كثيرة لم يخل شيء منها من القدح . لكن الحفاظ حسنوه لتعدد طرقه . منهم الحافظ ابن حجر ، وصححه بعضهم : كالمنذري والدمياطي والسيوطي ، انظر نيل الأوطار ج ٥ ص ٨٧ ، وتدريب الراوي ص ٨٠ وشرح الجامع الصغير للمناوي ج ٥ ص ٤٠٤ .

المنصور ، فاجتمع عليه في المسجد خلق عظيم يكتبون عنه ويسمعون منه ، وقرأ تاريخ بغداد في مدينة بغداد كما طلب من ربه ودعاه .

وانقطع الخطيب وقد اكتمل في العلم ، وبلغ سن الحكمة ، انقطع للتصنيف يعمل بجد متواصل ، ورغبة شديدة ، يستكمل ما بدأ تصنيفه من قبل ، أو يراجع ما صنفه ، أو يصنف كتباً جديدة حتى أنهى القسم الأعظم من تآليفه وأعدها للنشر والاملاء في مجالس التحديث . وقد جاوزت تآليفه عشرة آلاف ورقـــة ، وقدرت بسبعين مجلد من المجلدات الكبار.

وبينا كان الخطيب على ذلك إذا بالاحداث تتغير فجأة لتضطره إلى الرحلة من بغداد والفرار منها .

حدثت في بغداد آنذاك فتنة البساسيري ومحاولته قلب الخلافة العباسية ، وتشوش حال الناس وأمنهم ، واستولى على الأمور من لا يؤمن على الأنفس والأموال ، مما أتاح لبعض خصومه إيذاءه والكيد له بشتى الوسائل ، فخشي أبو بكر الخطيب على نفسه وخرج من بغداد مصطحباً تصانيفه وكتبه وسماعاته ، حتى أتى دمشق فاستوطنها ، وظل مقيماً فيها رغم علمه بهدوء الحال في بغداد وعودة الأمور إلى نصابها .

وقد اتخذ لنفسه في دمشق حلقة كبيرة في المسجد الأموي تغص بالناس ، وكان ذا صوت جهوري يدوي في أرجاء المسجد حتى يسمعه آخر من في المسجد .

ولهذه الرحلة الفضل فيما ظفرت به دمشق من كتب الخطيب القيمة التي لا يزال قسم كبير منها في دار الكتب الظاهرية حرسها الله تعالى .

وفي سنة ٤٥٩ قلبت له الأيام ظهر المجن ـ شأنها مع أولي الفضل ـ ،

بسبب سعاية الوشاة الخبثاء حتى أمر الوالي بقتله ، وكاد ينفذ فيه ذلك لولا أن الشريف العلوي أبا القاسم علي بن إبراهيم وهو من أهل العلم عرف للخطيب فضله ، فاحتال له وشفع فيه حتى انتهت الحادثة دون أن يمس الخطيب بأذى ، لكن أمر بمغادرة دمشق ، وألا يقيم فيها ، فخرج وأقام في مدينة صور حتى سنة اثنتين وستين وأربعمائة .

ثم لم يلبث بعد ذلك أن اشتد به الحنين إلى بلدته بغداد ، فشد رحله اليها ، وخرج من صور عن طريق الساحل السوري إلى طرابلس ، ثم إلى حلب وهكذا حتى بلغ بغداد ، وكان كلما مر ببلدة أقام أياماً ، وعقد مجلساً للعلم ، وباحث العلماء وناظرهم . وما إن وصل بغداد حتى اجتمع حوله العلماء ، يسمعون منه كتابه الذي تمنى على الله قراءته في هذه البلدة « تاريخ بغداد » ويسمعون غيره من الكتب حتى وافته منيته ضحى يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائه ، وحقق الله أمنيته الأخيرة التي دعا بها عند زمزم فتخلى له الشيخ الصوفي أبو بكر أحمد ابن علي الطريثيثي عن قبر أعده لنفسه بجوار بشر الحافي ، وكان الطريثيثي يتردد على القبر وينام فيه ويختم فيه القرآن كل اسبوع ، ثم تخلى عنه للخطيب كي يدفن فيه إيثاراً لعلم الخطيب وفضله رحمه الله ورضي عنه .

ولعل من المكافأة الإلهية للطريثيثي أن أطال الله حياته ، فعُمّر بعد ذلك ثلاثين سنة رحمه الله تعالى .

شخصية الخطيب البغدادي :

يتمتع الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب بشخصية قوية ، جمعت أطرافاً من من كمال الإيمان ، والعلم ، والتقى ، وحسن الخلق ، ودقة النظام .

كان في درجة الكمال خلقاً وهيئة ومنظراً ، وكان إلى جانب عنايته بمظهره « حسن الخط كثير الضبط ، وهذا مما يعنى به المحدثون أكثر من غيرهم ، كما كان يراعي آداب المحدث في القراءة المفصحة فكان إذا قرأ الحديث في جامع دمشق يسمع صوته من كان في آخر الجامع ، وكان يقرأ مع هذا معرباً صحيحاً » .

وكان حريصاً على العلم لا يفارق المطالعة لحظة ، قال ابن الآبنوسي : « كان الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه » وكان كثير التعبد تالياً للقرآن ، حتى ذكر من رافقه في السفر « أنه كان يختم كل يوم ختمة إلى قرب المغيب قراءة ترتيل » .

وكان على عفة وترفع عن الدنيا ، ابتعد عن الدخول إلى السلطان والتقرب إليه ، كما ابتعد عن السياسة ، وهذا أمر حسن يتيح للعالم التفرغ لنشر العلم ، وينفع الناس به نفعاً كثيراً .

عرف الدنيا وزخرفها الباطل وغرورها الخادع ، فترفع عنها ، ومن قوله في ذلك هذه الأبيات من الشعر :

لاتغبطنْ أخا الدنيا بزخرفها ... ولا بلذة وقت عُجِّلَتْ فرحا

فالدهرُ أسرعُ شيء في تقلبه ... وفعلُه بَيِّنٌ للخلق قد وَضَحا

كم شارب عسلا فيه منيّتُه ... وكم تقلّد سيفاً من بـه ذُبحا

ومن كان على هذه المعرفة بالدنيا كان واثقاً بالآخرة عاملاً لها متورعاً تقياً ، يتجنب ما فيه شبهة ويجتهد في القربات بالعبادة والدعاء ، والذكر والقرآن ، والصدقات .

ثم إن التواضع من شيم العلماء البارزة التي تدل على علو كعبهم في العلم ،

ورجاحة عقلهم ، وتماسك شخصيتهم ، فالعالم الكثير العلم كثير التواضع لا يعرف الافتخار ، ولا التبجح ، ولا الدعوى ولا الدعاية ، إنما هي سبيل من قل حظه في العلم ، وفقد التماسك في شخصيته ، فلا يجد ما يدلي به إلا التبجح ، ودعوى العندية الزائفة ، وتشامخ الغرور الكاذب.

ولقد كان الخطيب البغدادي مثلًا يحتذى به ، وأسوة يقتدى به في هذه الخليقة الرفيعة ، كان جم التواضع لين الجانب ، قال سعيد المؤدب : قلت للخطيب عند لقائي له : « أنت الحافظ أبو بكر ؟ » فقال : « أنا أحمد بن علي الخطيب ، انتهى الحفظ إلى الدارقطني » .

وهذه تآليفه أكبر شاهد على تواضعه ، وهضم شهواته الدنيئة لحب الظهور والتعاظم ، فكل تأليف منها ينبيء عن غزارة علمه واطلاعه ، وعن ابتكاره الناطق بامامته . لكنك لا تجد فيها ما يشعرك بأنه يُدلُ بذلك أو ينوه به ، فضلا عن المفاخرة والتباهي ..

وما أحسن قوله رحمه الله :

إن كنت تبغي الرشاد محضاً لأمر دنياك والمعاد
فخالف النفس في هواها إن الهوى جامع الفساد

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

تبوأ الخطيب البغدادي مكانة علمية عالية عند العلماء ، فكان محل ثنائهم ومدحهم وثقتهم ، قال أبو نصر بن ماكولا : « كان أبو بكر الخطيب آخر الأعيان ممن شاهدناه معرفة وحفظاً وإتقاناً ، وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وتفننا في علله وأسانيده ، وعلماً بصحيحه وغريبه ، وفرده ومنكره ، ومطروحه .. ولم يكن لبغداد بعد الدارقطني مثله » .

وقال مؤتمن الساجي : « ما اخرجت بغداد بعد الدارقطني مثل الخطيب » .

وقال أبو سعد السمعاني : « كان الخطيب مهيباً وقوراً ، ثقة متحرياً ، حسن الخط كثير الضبط ، فصيحاً ، ختم به الحفاظ » .

وقال ابن شافع : « انتهى إليه الحفظ والاتقان ، والقيام بعلوم الحديث » .

وقال الامام السبكي في طبقات الشافعية الكبرى : « ثم أقام ببغداد ، وألقى عصا السفر إلى حين وفاته ، فما طاف سورها على نظيره يروي عن أفصحَ من نطق بالضاد ، ولا أحاط جوانبها بمثله وإن طفح ماء دجلتها وروى كل صاد ... » .

وحسبه في ذلك أن يصبح رئيسَ اصحاب الحديث يتولى الاشراف على رواية الحديث فلا يحدث الخطباء والوعاظ بحديث إلا إذا كان يقره .

نقل الحافظ الذهبي عن أبي الحسن الهمذاني قال : « كان رئيس الرؤساء تقدم إلى الوعاظ والخطباء ألا يرووا حديثاً حتى يعرضوه على أبي بكر [1] » .

(١) انظر ترجمة الخطيب في تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١١٣٥ وما بعدها ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٤ ص ٢٩ وما بعدها ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٧٦ ، والبداية لابن كثير ج ١٢ ص ١٠٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ ص ٣١٤ ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٥ ص ٨٧ . وللدكتور يوسف العش كتاب « الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها » رجعنا إلى مصادره . وللدكتور محمود الطحان كتاب « الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث ». اطروحة نال بها درجة الدكتوراة في علوم الحديث من جامعة الأزهر .

وهذا منصب عظيم جداً ، عني بـه المسلمون ، وكانوا منذ سالف عهدهم الأول يراقبون الرواية ، فأبو بكر الصديق كان يتثبت في الرواية . وعمر رضي الله عنه كان يحض على الاقلال من الرواية ، خشية أن تزل أقدام المكثرين في الخطأ في الرواية . وكذلك فعل علي رضي الله عنه فقد راقب القصاص وكان يستحلف الراوي [١] ثم قام أئمة الاسلام بذلك خير قيام ، فمن أثنوا عليه قبل حديثه وارتفع ، ومن خفضوه لم يرتفع ميزانه ، وكان الحكام من تحت إشارتهم ، ينزلون العقاب بالكذابين والوضاعين . تحرزاً وحفظاً لحديث رسول الله ﷺ من الخلل أو الكذب .

منهج الخطيب العلمي

يمتاز الخطيب البغدادي بتعدد جوانبه العلمية التي عرف بها حتى أن دراسة منهجه العلمي تستغرق أبحاثاً وفصولاً مطولة ، لا يحتملها هذا البحث الذي بنيناه على الاختصار الشديد ، إلا أنا سنلقي على هذا المنهج ضوءاً يفسح المجال لاستكمال صورة هذا الامام فنتكلم عن منهجه في هذه العلوم الثلاثة :

١ – علم الكلام ، ٢ – علم الفقه ، ٣ – الحديث وعلومه .

١ – منهجه في علم الكلام :

وأهم مسألة يعرف بها اتجاه العالم في هذا الميدان هي مسألة الصفات

---

(١) انظر للتوسع في منهج الصحابة العلمي في الرواية كتابنا « منهج النقد في علوم الحديث » الدور الأول من أدوار علوم الحديث ص ٢٩ – ٥٠ وخصوصاً قوانين الرواية في عهد الصحابة .

المتشابهة ، فقد احتدم فيها الخلاف ، واشتد ، فماذا كان مذهب الخطيب؟

يقول عبد العزيز الكتاني في الخطيب : «وكان يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري » .

وهذا القول قد يوهم أن الخطيب البغدادي يذهب إلى تأويل هذه الصفات كما هو مشهور من مذهب الأشعري أنه يؤولها ، فيفسر اليد في مثل قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » بالقدرة ؛ وهكذا ... وذلك ما فهمه الامام الذهبي .

لكن دأب المحدثين هو الاحتياط ، والسير على طريق السلف رضي الله عنهم ، والخطيب وهو إمام محدث لم يقل بهذا التأويل ، وإنما كان على مذهب السلف ، أي على عدم التأويل ، وهو رأي آخر للامام الأشعري رحمه الله ، على الرغم مما اشتهر عنه من التأويل حتى قد يظن البعض أنه رأيه الوحيد في المسألة .

وهذا موقف دحض تزل فيه الأقدام ، وقع بسببه كثير من الناس في تشبيه الله بمخلوقاته ، أو ما يقارب التشبيه عياذاً بالله تعالى ، وهم يظنون ذلك مذهب السلف الصالح رضي الله عنهم وقد برأهم الله منه .

انظر إلى كلام الخطيب نفسه يبرز المذهبين ويشرح مذهب السلف ويعلن اختياره إياه فيقول - كما روى عنه الذهبي في التذكرة [١] - :

« أما الكلام في الصفات فان ماروي منها في السنن الصحاح ، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها ، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله ، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا من ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف ، والفصل إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة

---

(١) ص ١١٤٢ - ١١٤٣ .

بين الأمرين ، ودين الله بين المغالي فيه والمقصر عنه ، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات ، ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله ، وإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

فإذا قلنا : لله يد وسمع وبصر ، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه . ولا نقول ان معنى اليد القدرة ، ولا إن معنى السمع والبصر العلم . ولا نقول : إنها جوارح ، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع التي هي جوارح وأدوات للفعل ، ونقول وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها ، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ، « ولم يكن له كفواً أحد » انتهى كلام الخطيب رحمه الله .

لقد اجتاز الإمام الخطيب عقبة زلت فيها أقلام وأوهام حيث رد على المعتزلة وأشباههم من نفاة الصفات ، ثم فهم مذهب السلف على حقيقته فأثبت تلك الصفات إثباتاً يفوض علم حقيقتها إلى الله تعالى ، لا إثبات تحديد وتكييف ، فقرر بذلك مذهب السلف على حقيقته ، لا كما يفهمه الغالطون في هذا العصر من المماحكين المكابرين الذين لم يستطيعوا التمييز بين تفويض السلف العلم بحقيقة هذه الأمور إلى الله ، وبين تنزيههم الحق عما توهم الألفاظ من التشبيه وبين تشبيه الكرامية المشبهين الجاهلين .

ومن قبل صرح الامام الترمذي بهذا في حديث أبي هريرة الذي أخرجه في جامعه[1] قال قال رسول الله ﷺ : « ماتصدق أحد بصدقة من طيب — ولا يقبل الله إلا الطيب ـ إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله » .

(١) في الزكاة (فضل الصدقة) ج ١ ص ١٢٨-١٢٩ ، طبع بولاق ، وانظر كتابنا «الامام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين» ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

والحديث مشكل لأنه يجعل لله يداً ، وذلك تجسيم وتشبيه ، معارض للأدلة القاطعة بتنزيه الله عن ذلك ، وقد أزال الترمذي الإشكال وحقق المسألة فتعرض لمسألة المتشابهات وأبان الحق فيها ، فقال :

(وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا ، ويؤمن بها ، ولا يتوهم ولا يقال كيف ، هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث : أمِرُّوها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من اهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات ، وقالوا : هذا التشبيه .

وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ، ففسروها على غير ما فسر أهل العلم ، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده ، وقالوا : إن معنى اليد ههنا القوة .

وقال اسحاق بن إبراهيم : إنما يكون التشبيه إذا كان يد كيد ، أو مثل يد ، أو سمع كسمع ، أو مثل سمع ، فاذا قال : سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه ، وأما إذا قال كما قال الله تعالى : يد وسمع وبصر ، ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع ، فهذا لايكون تشبيها ، وهو كما قال الله في كتابه : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ») انتهى[1] .

---

(١) جامع الترمذي كتاب الزكاة (باب ماجاء في فضل الصدقة) ج ٣ ص ٥٠ ــ ٥١

وهذا بيان ساطع لمعنى هذه المتشابهات سار على النهـــج المستقيم الذي عليه سلف الأمة ، وهو المذهب الذي نختاره ونأخذ به ، فإنه هو الأعلم وهو الأسلم .

٢ ــ منهجه في الفقه :

عرف ولوع الحافظ أبي بكر بالفقه منذ صغره ، وأنه تفقه على كبار علماء الشافعية في زمنه ، وتخرج بهم ، وفي زمنه كانت استقرت المذاهب المعتمدة لدى الأمة ، واختار كل فريق من العلماء مذهباً منها ، وكذلك فعل الخطيب فأخذ فقه الإمام الشافعي . وتمذهب به . وقد بلغ الخطيب شأواً كبيراً في الفقه الشافعي حتى ترجم له التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى وقال : « كان من كبار الفقهاء ... »

لكن الخطيب البغدادي تشدد في تمذهبه حتى بلغ حد العصبية الشديدة .

وهذا كتابه الكبير « تاريخ بغداد » فيه الغضّ من علماء الحنابلة والحط عليهم ، وكذلك أودع كتابه الغض من الحنفية ، بل النيل من الإمام أبي حنيفة ، بما جمع في ترجمته من روايات الكذابين والدساسين. أو الحاسدين ما ينبوا عنه العقل والذوق من الدسائس المختلقة والافتراءات المفضوحة .

وقد رد العلماء على الخطيب وعلى غيره كابن عدي ممن تكلم في أبي حنيفة ، ونبه الأئمة من كافة الطوائف والمذاهب أنه لايلتفت إلى ذلك الطعن ، ولا يغض من قدر هذا الإمام .

فرد على الخطيب عالم الملوك الملك المعظم عيسى بن أبي بكر الأيوبي في كتابه « السهم المصيب في كبد الخطيب » ورد عليه أيضاً الإمام ابن

الجوزي من الحنابلة ، وسبطه من الحنفية ، وكذلك رد الإمـام حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر المالكي على من تكلم في أبي حنيفة ، واشتد بعض الذين ردوا على الخطيب في الإنكار حتى نال من عفته ودينه [١] .

وهذا كله يدلك على أن الاقرار بإمامة أبي حنيفة ، والثناء عليه في الفقه والحفظ للحديث موضع اتفاق السلف والخلف وأنه قد تواتر النقـل عنهم في ذلك ، وهاهو الامام مالك لما قال له الليث بن سعد :

« أراك تعرق » فأجابه قائلاً : عرقت مع أبي حنيفـة إنه لفقيه يامصري[٢] » والاعتراف له بأنه فقيه اعتراف له بكل خير ، وقد تواتر عن الشافعي قوله : « الناس كلهم عيال في الفقه على أبي حنيفة » .

وكان الامام رضي الله عنه لشدة احتياطه لايجيز لأحد أن يحدث بالمعنى ، بل لابد أن يروي الحديث باللفظ ، وكان لايحدث الا بما حفظ من اللفظ . وقد أثنى عليه المحدثون وأخذوا بفقهه ، قال إمام هذا الشأن يحيى بن معين : « ثقة لايحدث إلا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظه» . وقال ابن معين أيضاً : « كان أبو حنيفة ثقة في الحديث » .

وقال إمام أهل زمانه [٣] في الحديث يحيى بن سعيد القطان : « لانكذب الله ما سمعنا احسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله » وقد

---

(١) وقد صدر حديثا كتاب قيم يجلو مناقب هذا الامام عنوانه « أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء » لفضيلة الاستاذ الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني . فليرجع إليه سيما الفصل الثاني ص ٦٩ — ١١٩

(٢) تأنيب الخطيب ص ٧ نقلا عن المدارك للقاضي عياض .

(٣) تهذيب التهذيب ج ١٠ : ص ٤٥٠

كان يحيى إماماً محدثاً وفقيهاً كبيراً [١]. وهكذا كان كبار العلماء يفعلون، يأخذون المذهب وقد يختارون في بعض المسائل غير حكم المذهب.

وقد قال الامام أبوداود السجستاني: «رحم الله أبا حنيفة كان إماماً» [٢].

وفي الواقع أن شأن أبي حنيفة رضي الله عنه أكبر من أن يحتاج للدفاع عنه، وإن مافعله الخطيب خطيئة وقع فيها، تأثر فيهـا بتيار المنافسات الدنيوية التي أدى اليها التعصب المذهبي المقيت، وكانت بغـداد مرتعاً خصباً لذلك. وهذا كله على فرض ثبوت ذلك عن الخطيب البغدادي هو هفوة منه - ولكل جواد كبوة - تغمرها حسناته وخدماته للاسلام. ويرى بعض العلماء المحققين عدم صحة ذلك، وأنه مدسوس على كتاب الخطيب، واستشهدوا لذلك بدلائل قوية لانطيل بها تدل على عدم ثبوت ذلك عنه [٣]، وذلك هو الذي يليق بمثله.

٣ - منهج الخطيب في علم الحديث:

وعلم الحديث أشهر ما عرف به الخطيب البغدادي وظهر فيه أثره، فقد كان محدثاً حافظاً إماماً، واحد زمانه في علم الحديث وفنونه، برع في سلوك طريقة المحدثين حتى وافى النهاية، وحسبك في هذا أن يُنْصَبَ

---

(١) قال أحمد: «مارأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد القطان» وقال عبد الرحمن بن مهدي: «لاترى بعينك مثل يحيى القطان» وانظر المزيد من ذلك في تذكرة الحفاظ ص ٢٩٨ - ٣٠٠ وغيره.

(٢) جامع بيان العلم بلفظه ج ٢ ص ١٦٣ والتذكرة ص ١٦٩.

(٣) انظر في ذلك تأنيب الخطيب وكتاب الخطيب البغدادي للدكتور محمود الطحان ص ٢٦٣ - ٣٠١ فقد توسع في ذلك وفي مناقشة تلك الروايات الطاعنة سندا ومتنا بما لايدع مجالاً للشك في بطلانها. وانظر كتاب «ابو حنيفة» للاستاذ غاوجي ص ٢٠٥ - ٢٧٧. ففيه مزيد مناقشات.

حكماً على الخطباء والوعاظ ، ما أقره من الحديث رووه ، ومالم يقره لم يروه منهم أحد .

ومن هنا جاءت براعة الخطيب البغدادي في علم التاريخ ، تلك البراعة التي شهرته كعالم مؤرخ ناقد ، حيث طبق على التاريخ منهج المحدثين النقدي في الاستثبات من النصوص المنقولة ونقد الوثائق التاريخية .

وهذا نموذج من كتابه « تاريخ بغداد » هو رواية تاريخية في عتق سلمان الفارسي رضي الله عنه أخرجها الخطيب في تاريخه بسنده[1] ثم نقدها .
ونص الرواية بعد السند إلى سلمان كما يلي :

« . . . أن النبي ﷺ أملى الكتاب على عليّ بن أبي طالب :

هذا ما فادى محمد بن عبد الله رسول الله ، فدى سلمان الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودي ثم القرظي ، بغرس ثلثمائة نخلة وأربعين أوقية ذهباً ، وقد برىء محمد بن عبد الله رسول الله لثمن سلمان الفارسي وولاؤه لمحمد بن عبد الله رسول الله وأهل بيته فليس لأحد على سلمان سبيل

شهد على ذلك : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وحذيفة بن سعد بن اليمان ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد ابن الأسود ، وبلال مولى أبي بكر ، وعبد الرحمن بن عوف .

وكتب عليّ بن أبي طالب يوم الاثنين في جمادى الأولى ، من سنة مهاجر محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ !! » .

قال الخطيب : « في هذا الحديث نظر ؛ وذلك أن أول مشاهد سلمان

---

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص : ١٧٠ - ١٧١ .

مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق ، وكانت في السنة الخامسة من الهجرة ، ولو كان يخلص سلمان من الرق في السنة الأولى من الهجرة لم يفته شيء من المغازي مع رسول الله ﷺ . وأيضاً فان التاريخ بالهجرة لم يكن في عهد رسول الله ﷺ ، وأول من أرخ بها عمر بن الخطاب في خلافته ، والله أعلم » انتهى .

وهذه حادثة أخرى جرت له سنة ٤٤٧ هجرية (١)

أظهر بعض اليهود كتاباً باسقاط النبي ﷺ الجزية عن الخيابرة [يعني يهود خيبر] وفيه شهادة الصحابة ، فعرضها الوزير أبو القاسم علي وزير الخليفة القائم على أبي بكر الخطيب ؟. فقال : هذا مزوّر ! .

قيل : من أين قلت هذا ؟ .

قال : « فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح بعد خيبر ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات قبل خيبر بسنتين » .

فاستحسن الوزير ذلك منه ، ولم يقبل منهم ما في هذا الكتاب .

وهذا النقد يدل على سبق علماء المسلمين إلى أدق أصول علم التاريخ

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ١١٤١ ، وانظر طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ٣٥ الطبعة الأولى وانظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ص ١٠ ، والمنتظم ج٨ ص٢٦٥ ، وإرشاد : ٤ : ١٨ ، والمنتخل من تاريخ بغداد لابن قاضي شهبة ص ١٣٩ والخطيب البغدادي ليوسف العش ص ٢٣٥ فقد أحال إلى هذه المراجع . وانظر « المنار المنيف في الصحيح والضعيف » لابن القيم ص١٠٢ ـ ١٠٥ حيث ذكر ان اليهود حاولوا مثل هذه المحاولة مرة ثانية في عصر ابن تيمية ، وردم بالخزي والصغار وبين بطلانه من عشرة أوجه . وفي الاعلان بالتوبيخ مزيد من الأمثلة لهذا النوع من النقد التاريخي فانظره .

التي توصل إليها المؤرخون في هذا العصر وقرروها [١] ومن قبل البغدادي سبق مؤرخ الاسلام ابن جرير الطبري [٢] وغيره إلى مثل ذلك في وقائع كثيرة .

ونحن بدورنا نقدم هذه القصة هي ومثيلاتها التي لا تحصى عدداً هدية نهديها إلى المستشرق اليهودي (جولد زيهر) وإلى من سايره في زعمه الفاسد أن المحدثين ينقدون السند فحسب ولا يعتنون بنقد المتن [٣] .

لأن الحادثة في الواقع نقد حديثي وليست مجرد نقد تاريخي ، لأن الوثيقة إنما تروي حديثاً نبوياً فهي تدل على دقة ما بلغه المحدثون وأنهم لا يكتفون بنقد السند ، بل ينقدون المتن أيضاً .

أثر الخطيب في علوم الحديث :

بهذه الموهبة والإمامة في نقد الحديث ، وجه الإمام أبو بكر عنايته إلى الوسائل العلمية التي يستخدمها العلماء لتمييز صحيح الحديث من سقيمه ، وهي قواعد علوم الحديث .

جاء الخطيب وقد سبقه العلماء فصنفوا في كل نوع من علوم الحديث كتاباً أو كتباً ، وكانت تآليفهم تجربة أولى في تدوين العلوم ، فأكب

---

(١) انظر كتاب مصطلح التاريخ للدكتور أسد رستم مدرس التاريخ في الجامعة اللبنانية فقد أبرز في كتابه سبق المحدثين إلى قواعد علم التاريخ اليوم ، وانظر على الخصوص بحث نقد الأصول ص ١٢ ـ ٢٤ حيث تكلم عن النقد الباطني للأصول التاريخية .

(٢) البداية لابن كثير ج ١٢ ص ١٠١

(٣) وقد توسعنا في الرد عليهم في كتابنا « منهج النقد في علوم الحديث » في مناسبات كثيرة ، خصوصاً في خاتمة الكتاب ص ٤٣٦ ـ ٤٥٥ فانظرها لزاماً .

على تلك المصنفات يدرسها بعين الناقد المطلع الغزير المادة ، فوجد الحاجة ماسة لتحرير المسائل واستيفاء مادتها ، فصنف في كل فن من فنون الحديث كتاباً وافياً جمع فيه ما سبقه المؤلفون وأضاف اليه علماً غزيراً وفوائدجمة ، وألف في فنون وموضوعات لم يسبق إليها ، وأسند كل رأي إلى قائله بالسند المتصل إليه . كما روى فيها الأحاديث بالإسناد إلى النبي ﷺ .

وبهذا أصبحت كتب الحافظ أبي بكر ملاذ الأئمة في الفنون الحديثية ، إليها يرجعون ، وعليها يعتمدون . فكان كما قال الحافظ أبو بكر ابن نقطة :

« كل من أنصف علم أن المحدثين بعد الخطيب عيال على كتبه » .

مؤلفاته :

وكان الحافظ أبو بكر أحد أفراد قلائل في التاريخ من حيث كثرة التصانيف وتنوع الموضوعات التي صنف فيها ، لا تكاد تجد علما من علوم الإسلام إلا وله فيه كتب كثيرة حتى جاوز عدد مؤلفاته الثمانين [١] ما بين مصنف ضخم كتاريخ بغداد /١٤/ مجلداً ، وكتاب معتدل كالكفاية ، ورسالة صغيرة (جزء حديثي) ككتاب الرحلة هذا .

وإليك أهم مؤلفاته :

آ ـ في الحديث وعلومه

١ ـ « الأمالي » توجد منه ثلاثة أجزاء في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

---

(١) حسبما أحصاها من المصادر الدكتور يوسف العش في كتابه « الخطيب البغدادي ص ١٢٠ ـ ١٣٤ .

٢ – مسند أبي بكر الصديق على شرط الصحيحين في جزء .

٣ – « الفوائد المنتخبة » وله عدة كتب منتخبة ، ومنها أجزاء بالظاهرية .

٤ – « الفصل للوصل المدرج في النقل » تسعة أجزاء .

٥ – « الكفاية في علم الرواية » وهو كتاب عظيم جداً في بابه مطبوع في مجلد .

٦ – « شرف أصحاب الحديث » جزء كبير مطبوع .

٧ – « الأسماء المبهمة » في الظاهرية .

٨ – « التبيين لأسماء المدلسين » .

٩ – « تلخيص المتشابه في الرسم » .

١٠ – « المتفق والمفترق » .

١١ – « الموضح لأوهام الجمع والتفريق » طبع في الهند في مجلدين .

وله مؤلفات وأجزاء حديثية كثيرة .

ب – في الفقه وأصوله :

١ – « الفقيه والمتفقه » توجد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية . وطبع في جزءين .

٢ – « الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم » اختصره الذهبي وتتبع أحاديث فيه بالنقد .

٣ – « صلاة التسبيح والاختلاف فيها » ومنه نسخة في الظاهرية

٤ – « القنوت والآثار المروية فيه » على مذهب الشافعي .

الأدب :

١ – « البخلاء » في ثلاثة أجزاء ونقل عنه ابن عبـــد الهادي في كتابه (وقوع البلاء في البخل والبخلاء) ظاهرية .

٢ – « التطفيل وحكايات الطفيلين » طبع بمصر .

التـــاريخ :

١ – « تاريخ بغداد » طبع في مصر في ١٤ مجلداً .

٢ – « مناقب الامام الشافعي » .

٣ – « مناقب الامام أحمد بن حنبل » .

* * *

التعريف بكتاب الرحلة

موضوع الكتاب :

كتاب الرحلة في طلب الحديث ليس موضوعه الرحلة في طلب الحديث جملة كما يتبادر للذهن من أول وهلة ، وإنما تناول فيه الحافظ أبو بكر جانباً من هذا الموضوع لطيفاً ، ونوعاً عظيما طريفاً ، هو الرحـلة من أجل الحديث الواحد فقط ، وهو موضوع له روعته في النفوس ، ووقعه في القلوب .

ولو قصد الامام الخطيب الرحلة في طلب الحديث جمـلة ، لبلغ الكتاب مجلدات ضخمة كثيرة ، لأنه سيضم أسماء كافة رواة الحديث ، فإنه قل أن تجد فيهم راويا لم يرحل في تحصيل الحديث .

يبدأ الكتاب بفضل العلم والرحلة من أجله ، ثم يذكر رحلة سيدنا موسى عليه السلام إلى الخضر ، لأن الله أطلعه أنه أعلم منه ، فرحل إليه موسى في سبيل هذا الهدف : « أن تعلمني مما علمت رشداً » .

ثم يذكر أنباء الصحابة الذين رحلوا إلى بعضهم من أجل حديث واحد ، وأتبع ذلك بأخبار مَنْ بعد الصحابة مِنَ التابعين والخالفين في رحلاتهم للحديث الواحد ، ثم يختم الكتاب بعد ذلك بأنباء من رحلوا إلى محدث لسماع حديثه فمات المحدث قبل بلوغ الطالب منه إلى مراده .

والخطيب في هذا الكتاب يذكر كل حديث وخبرٍ بالسند المتصل إلى النبي ﷺ ، أو إلى من يسوق أخبار رحلاتهم من الصحابة فمن بعدهم . وهذه هي طريقة المحدثين المتقدمين كانوا لا ينقلون شيئاً من حديث أو غيره إلا بالسند إلى قائله .

وتجد في الكتاب اختصاراً في صيغ الأداء فيرمز إلى « حدثنا » بـ « ثنا » أو « نا » ويرمز إلى أخبرنا بـ « أنبا » كما أنه يستخدم هذا الرمز « ح » إشارة للتحويل من سند إلى سند آخر لنفس الخبر يلتقي بالسند الأول في الأثناء .

وكثيراً ما يورد الحافظ أبو بكر الحديث الواحد بعدة أسانيد فيتكرر الحديث على عدة ألفاظ بحسب ما أداه إليه الرواة ، والحديث بتجدد السند يعتبر عند المحدثين حديثاً جديداً يرحلون من أجله.

وقد أعلمنا على ابتداء أول كل إسناد برقم مسلسل ، وفصلنا بعد كل حديث وما يتبعه من الأسانيد والروايات بنجيمات صغيرة في منتصف السطر ، لتكون علامة على الانتقال إلى خبر ذي موضوع جديد ، وليسهل على القارىء حصر تأمله في أسانيد وروايات الحديث الواحد فيتذوق من حلاوة الاسناد .

وصف نسخ الكتاب

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على نسختين صحيحتين في دار الكتب الظاهرية بدمشق :

النسخة الأولى :

في المجموع رقم ٧٥ في ٢٤ صفحة . وهي نسخة قديمة في غاية الجودة ، كتبها بخطه الإمام الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي الحنبلي رحمه الله ، وهو يروي الكتاب عن مؤلفه الخطيب بثلاثة أسانيد ، تؤخذ من السماعات المدونة على النسخة ، والتي سنذكرها بعد :

السند الأول : عبد الرحمن بن ابراهيم المقدسي سماعاً لقراءة الكتاب على الشيخ الأجل الثقة أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد قراءة بأصل أبي محمد سعد الله بن أيوب ، أي عن ابن أيوب عن الخطيب البغدادي بسماع ابن أيوب عنه .

السند الثاني : عبد الرحمن بن ابراهيم المقدسي عن عبد الحق بن عبد الخالق عن الصيرفي مناولة عن الخطيب .

السند الثالث : عبد الرحمن بن ابراهيم المقدسي بالسماع عن أبي عبد الله محمد بن أبي الصقر بالسماع عن ابن الأكفاني عن الخطيب .

وعلى ظهر النسخة في الأعلى اسم الكتاب وروايته وتسجيل سماع المقدسي بخطه هكذا :

« كتاب الرحلة في الحديث »

« تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي .
رواية أبي محمد سعد الله بن علي بن الحسين بن أيوب بن البزاز عنه .
ورواية أبى الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي عن الخطيب .
رواية الشيخ الثقة أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد ابن يوسف .

عن ابن أيوب سماع وعن الصيرفي يعرف بابن الطيوري مناولة في رجب سنة خمسمائة .

سماع لعبد الرحمن بن ابراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن المقدسي متع به ورحم الله والديه آمين » .

وتحت هذا بمقدار أربعة أسطر ما يلي نصه :

« قرأت جميع هذا الكتاب على الشيخ الثقة الأمين بهاء الدين أبي محمد عبد الرحمن بن ابراهيم بن أحمد المقدسي أبقاه الله بسماعه فيه ، وبسماعه أيضاً من أبي عبد الله محمد بن أبي الصقر بسماعه من ابن الأكفاني عن الخطيب فسمعه الأمير شجاع الدين أبو أحمد حمدان بن مرزبان بن باد الهذباني وابنه سيف الدولة أبو العباس وصح ذلك وثبت .

قاله وكتبه عبيد الله الفقير إليه الغني به ، عيسى بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد الدغيني الأندلسي المالكي عفا الله عنه وذلك في غرة جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وستمائة

بمنزل شجاع الدين بالعقيبة ظاهر دمشق والحمد لله وسلام على عبـــاده الذين اصطفى ».

وفي آخر النسخة (ورقة ١٧٨ أ) بخط المقدسي رحمه الله :

« بلغ من أوله أعني كتاب الرحلة للخطيب أبي بكر أحمد بن علي ابن ثابت سماعاً على الشيخ الأجل الثقة . أبي الحسين أحمد بن عبد القادر ابن محمد بن يوسف . عرضاً بأصل سماعه من سعد الله ابن أيوب وبمناولته من أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري كلاهما عن الخطيب بقراءة صاحبه الإمام الفقيه أبي محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنبلي . وكانت قراءاته من الأصل المذكور . الشيوخ أبو بكر محمد بن أبي الحسن بن الحسين المقري والفقيه أبو الفضل الياس بن حامد بن محمود الحراني وأبو عبد الله محمد بن أسفاه أمير الحنبلي السهاني المسمى أحمد بن أحمد بن السريجى[1] وأخوه أبو العباس أحمد ، مطلع شهر رمضان من سنة أربع وسبعين وخمسمائة بمنزل الشيخ سانى[2] » ؟

وإزاء هذا على الهامش الأيسر بخط المقدسي :

« شاهدت على الأصل بخط الشيخ عبد الخالق : قرأت جميعه على الشيخ أبي محمد سعد الله ابن علي الحسين بن أيوب البزاز بحق سماعه فيه من الخطيب وسمعه ابني أبو الحسين عبد الحق وابن أختي أبو حامد يحيى ابن علي بن عبد الباقي وفتاي مختار بن عبد الله الهندي في ربيع الآخر سنة ستين وكتب عبد الخالق بن أحمد بن يوسف . نقله على الوجه عبد الرحمن بن أحمد المقدسي في رمضان سنة أربعين وستمائة وصلى الله[3] على محمد وآله وسلم » .

---

(١) و (٢) الخط مهمل وغير واضح .

(٣) الباقي ذهب بقص الورقة فألحقته من عندي .

النسخة الثانية :

تقع ضمن مجموعة أيضاً برقم ١٠١ في أربعين صحيفة تبدأ بالورقة ٢٥١ وجه أ وتنتهي بالورقة ٢٧٠ . وكاتب النسخة هو علي بن محمد البالسي ، كما يظهر من الكلام المدون آخر الكتاب .

وهذه النسخة هي رواية الكتاب عن الخطيب من طريق ابن الأكفاني وعن ابن الأكفاني الخشوعي . وقد ثبت على ظهر النسخة ما يلي :

« **كتاب الرحلة في طلب الحديث**

تصنيف الشيخ الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن

علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله

رواية الشيخ أبي محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني عنه

رواية أبي طاهر بركات بن إبراهيم بن الخشوعي عنه » .

وفي آخر النسخة : ورقة ٢٧٠ أ :

« تم الكتاب بحمد الله ومنّه » . عورض به فصح [١] .

سمعه على أبي محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني أبو عبد الله الحسين بن الخضر بن عبدان وأبو الفضل محمد بن محمد بن هلال والخضر ابن سهل الحارثي وابراهيم بن طاهر الخشوعي وابن بركات وجماعة كثيرة بقراءة وهب بن سلمان بن أحمد السلمي في مستهل ربيع الآخر سنة عشرين وخمسمائة نقله مختصراً علي بن محمد البالسي » .

---

(١) هذه الجملة (عورض به فصح) كتبت بحبر مغاير للنسخة مما يدل على أنها قوبلت من غير كاتبها وصححت فكتب هذا المصحح تلك الجملة .

وهنالك سماعات لغير هؤلاء على ورقتين في أول النسخة ، وورقتين في آخرها ، وسماعات في أثناءالنسخة لا نطيل بنقلها .

منهجنا في تحقيق الكتاب :

١ – اعتمدنا على النسخة الأولى وجعلناها أصلاً ، لما بدا لنا أنها أصح وأقرب عهداً بالمؤلف ، وما كان من زيادة النسخة الثانية أدرجناه في المتن بين معكوفين هكذا [ ] ثم أثبتنا اختلاف النسخة الثانية عن الأولى في الحاشية ورمزنا للنسخة الثانية بالحرف ب .

٢ – خرجنا أحاديث الكتاب المرفوعة ، لما أن تخريج الأحاديث من مراجع السنة المشهورة يدنيها من قلوب الناس . ثم بينا ما في الأحاديث من ضعف إن وجد بها ضعف ، وهو قليل فيما تبينا ، كما أنه مما يحتمل ويقبل إيراده في مثل هذا الموضوع ، إلا حديثاً أو حديثين ، كما ستجد في التعليقات .

وننبه هنا إلى أن ضعف الحديث لا يعني عدم صحة خبر الرحلة من أجله ، فقد كانوا يرحلون من أجل الحديث أياً كانت درجته في سبيل متابعة التحقيق العلمي فيه .

٣ – شرح ما يحتاج إلى شرحه من ألفاظ الأحاديث لتكون الفائدة أكبر وأعظم .

٤ – الاستدراك على الخطيب . فقد تبينا أن الرسالة لم تستوف كل ماورد في موضوعها وهو أخبار من رحلوا لأجل الحديث الواحد ، فاثبتنا في الاستدراك ما وقفنا عليه من ذلك . ثم اختتمنا بطرائف من رحلات المحدثين ، لمناسبة الموضوع .

* * *

طبعة مغلوطة :

وقد اطلعنا على نسخة مطبوعة من كتاب الرحلة ضمن « مجموعة رسائل في علوم الحديث » من اخراج صاحب « المكتبة السلفية بالمدينة المنورة » !! طبع مطابع المجد بالقاهرة ، وتأملنا هذه الطبعة فاذا هي - شأن مطبوعات هذه المكتبة - قد نشرت نشراً تجارياً ، بعيداً جداً عن الاخراج العلمي ، حتى قد عطلت الفائدة منها . وذلك لأسباب كثيرة ، نذكر منها :

١ - اغفال المحقق التنبيه على الاختلاف بين النسختين بما يؤدي واجب التحقيق ، على الرغم من أنه قال في تقديمه للكتاب ص ٤١ من المجموعة : « رمزنا للنسخة الأولى بحرف أ » . وقال أيضاً : « رمزنا للنسخة الثانية بحرف ب » .

٢ - اغفال تخريج الأحاديث ، مما يترك القارىء حائراً ، لا ينتفع من الكتاب ، اللهم إلا نزراً يسيراً جداً من التخريج لأحاديث قليلة ، وقع له في تخريجها قصور شديد أحياناً ، نحو إطلاقه الحكم بالضعف على حديث « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » فانه لم يميز في حكمه بالضعف بين طرفي الحديث ، الطرف الأول الضعيف ، والطرف الثاني الذي ورد حديثاً مفرداً بأسانيد كثيرة جداً تبلغ الخمسين وترقى به إلى الاحتجاج كما نبهنا في تعليقنا عليه .

٣ — كثرة الأخطاء المطبعية كثرة فاحشة لا يفهم معها للكلام معنى ، سيما في الأسانيد ، حتى لا يدري الناظر هل هي من السهو في تصحيح تجارب الطبع ، او من تحريف قراءة المخطوطات .

وهذه صحيفة واحدة كانت أول ما واجهني عند فتح الكتاب هي الصحيفة / ٦٥ / اذكرها مثالاً لذلك :

١ — سطر ٣ : « بابك » والصواب « بابتك » كما هو مثبت في المخطوطتين وفي الكفاية أيضاً .

٢ — سطر ٦ : « صر على هذا الحديث » كذا ؟ ؟ والصواب : « دمرّ عليّ هذا الحديث » .

٣ — سطر ٦ : « من رسول الله ﷺ » . والصواب : « عن رسول الله ﷺ » .

٤ — سطر ٧ : « أحب لى » . والصواب : « أحب إليّ » .

٥ — سطر ٨ : « المثنى بن معاذ » . الصواب : « المثنى بن معاذ ابن معاذ » .

٦ — سطر ١٠ : « جعفر بن الليث » . الصواب : « جعفر بن أحمد بن الليث » .

٧ و ٨ — سطر ١٢ - ١٣ : « فارسل فيه حتى اسمعه » . الصواب : « فأرحل فيه حتى اسمعه وأرجع » . وفرق بعيد بينهما ، مع ما هنالك من سقط .

٩ — سطر ١٤ : « المروزي » صوابه : « المرورّوذي » .

١٠ — سطر ١٤ : « من لفظه بعيدا » . صوابه « من لفظه بصيدا » .

١١ – سطر ١٦ : « الرازي » . صوابـــه « أبو العبـاس الرازي » .

١٢ – سطر ٢٢ : « الصفدي » . صوابه « الصُّغْدي » .

١٣ – سطر ٢٤ : « الموصل » . صوابه « بالموصل » .

كما أن في هذه الصحيفة اختلافات بين النسخ لم ينبه المحقق عليها ، تعرف من مقابلتها بتحقيقنا . وغير هذه الصحيفة ليس أحسن حالاً منها كما تدل المقابلة .

وقد زادني ذلك إصراراً على متابعة خدمة الكتاب ، واقتناعاً بخطة عملي لأن هذا الافساد والتشويه يؤكدان ضرورة العمل لانقاذ هذا الكتاب القيم العظيم ، وإخراجه بحلة من التحقيق العلمي تليق بموضوعه الطريف النفيس .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

★ ★ ★



الرحلة في طلب الحديث

للخطيب البغدادي

الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت

حققه وعلق عليه

نور الدين عتر

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الرحلة في طلب الحديث

والأمر بها، والحث عليها، وبيان فضلها

أخبر [1] الشيخ الأجل الثقة أبو الحسين عبدُ الحق بن عبدِ الخالق بنِ أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أنبا الشيخُ أبو محمد سعدُ الله بن علي بن الحسين بن أيوب في ربيع

(١) كذا في النسخة أ، وفيه اختصار للمقصود وهو: « أخبرنا ».
وفي النسخة ب وقع الاسناد إلى البغدادي هكذا:
« أخبرنا الشيوخ الثقات أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي القرطبي وأبو عبد الله الحسين بن ابراهيم بن الحسين وأبو محمد عبد العزيز بن عثمان ابن أبي طاهر الاربليان وأبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم بن عبد الرحمن اليكداني وأبو إسحاق إبراهيم بن بركات بن ابراهيم الخشوعي قراءة عليهم مجتمعين وأنا أسمع قيل لهم أخبركم الشيخ أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر القرشي الخشوعي قراءة عليه قال أنبا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن =

الآخر سنة ست وخمسمائة أنبأ الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي [قال][1] :

١ ـ أنبا[2] أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن عثمان الطرازي بنيسابور ثنا أبو العباس محمدُ بن يعقوبَ الأصم ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري ثنا الحسن بن عطيةَ ثنا أبو عاتكةَ .

عن أنسٍ بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

« اطلبوا العلم ولو بالصينِ ، فإنّ طلبَ العلمِ فريضةٌ على كلِ مسلم »[3] .

= محمد الأكفاني قراءة عليه قال : حدثنا الشيخ الامام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي من لفظه بدمشق قال : ذكر الرحلة في طلب الحديث والأمر بها والحث عليها وبيان فضلها ... » هكذا في النسخة تأخير العنوان وهو « ذكر الرحلة ... » إلى ما بعد السند .

(١) لفظة « قال » ليست في النسخة ، لكنها مقدرة في الكلام ، وحذفت من الكتابة اختصاراً ، كما جرت عادة المحدثين فأثبتناها هنا لمناسبة افتتاح الكتاب .

(٢) وفي ب « أخبرنا » .

(٣) حديث : « اطلبوا العلم ولو بالصين » رواه الخطيب البغدادي هنا من ثلاثة طرق تدور في نهايتها على الحسن بن عطية عن أبي عاتكة =

. . . .

= طريف بن سلمان عن أنس . ورواه من هـــذا الطريق أيضاً في تاريخ بغداد (ج ٩ ص ٣٦٤) وقال : « رواه عن أبي عاتكة الحسنُ بن عطية ، ولا أعلم رواه عنه غيره » انتهى .

ورواه من هذا الطريق أيضاً ابن عدي في الكامل (ق ٢٠٧/ ب مخطوطة الظاهرية) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضـــله (ج ١ ص ٧ - ٨) . وقال ابن عدي : « قوله : ولو بالصين ، ما أعلم يرويه غير الحسن بن عطية عن أبي عاتكة عن أنس » انتهى .

لكن وجدنا رواية الحديث لغير الحسن بن عطية عن أبي عاتكة ؛ رواه حماد بن خالد الخياط عن أبي عاتكة . أخرج ذلك العقيلي في كتاب « الضعفاء » (ق ١٩٦ أ مخطوطة الظاهرية) قال : حدثنا جعفر بن محمد الزعفراني قال حدثنا أحمد بن أبي سريج الرازي قال حدثنا حماد بن خالد الخياط قال : حدثنا طريف بن سلمان أبو عاتكة قال سمعت أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال : « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم » . ثم قال العقيلي عقب ذلك : « لا يحفظ « ولو بالصين » إلا عن أبي عاتكة ، وهو متروك الحديث ، و « فريضة على كل مسلم » الرواية فيها لين ، متقاربة في الضعف » انتهى كلام العقيلي .

وأبو عاتكة هذا ذكره البخاري في تاريخه الكبير (٢/٢/٣٥٨) وأخرج عنه هذا الحديث ، ثم قال : « منكر الحديث » . وهذا جرح شديد عند البخاري ، وقال أبو حاتم كما في الجرح والتعديل (٢/١/٤٩٤): « ذاهب الحديث ضعيف الحديث » ، وقال الداوقطني : « ضعيف » وكذا =

. . . .

= قال ابن عبد البر كما في التهذيب . وانظر اللآلىء المصنوعة للسيوطي (ج ١ ص ١٩٣) . والمغني في الضعفاء رقم ٢٩٣٧ و ٧٥٦١ بتحقيقنا .

لكن لم يتفرد أبو عاتكة بالحديث عن أنس ، بل إن للحديث طريقاً أخرى عن أنس أيضاً :

فأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم قال : « أخبر أحمد قال نا مسلمة قال نا يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم العسقلاني قال نا عبيد بن محمد الفريابي ببيت المقدس قال نا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ » فذكر الحديث باللفظ السابق .

وفي هذا السند يعقوب بن اسحاق العسقلاني ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (ج ٤ ص ٤٤٩) : « كذاب » وفي اللسان (ج ٦ ص ٣٠٤) عن مسلمة بن قاسم في كتاب الصلة : « ... هو عندي صالح جائز الحديث » .

وأخرجه ابن عدي عن ابن كرام عن أحمد بن عبد الله الجويباري عن الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة حديث : « اطلبوا العلم ولو بالصين » انظر اللآلىء المصنوعة نفس الصفحة .

والجويباري الذي في هذا السند كذاب ، قال ابن عدي : « كان يضع الحديث لابن كرام على ما يريده » وقال ابن حبان : « دجال من الدجالة روى عن الأئمة ألوف الحديث ما حدثوا بشيء منها » . وقال الذهبي في ميزان الاعتدال : (ج ١ ص ١٠٧) : « ممن يضرب المثل بكذبه » . وفي المغني رقم ٣٢٢ « كذاب جبـل » . =

٢ ـ أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل المتوثي ، ثنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ثنا محمد بن غالب التَّمتام [ح] وأنبا[1] أبو الحسن العباس بن عمرَ بن العباسِ الكَلوذاني أنبا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا جعفر ابن هاشم ومحمد بن غالب بن حرب قالا ثنا الحسن بن عطيةَ ـ زاد ابنُ الفضل « البزازَ » ـ ثنا أبو عاتكةَ ـ زاد ابن الفضل « طريف بن سلمان » ـ ثم اتفقا[2] على أنس ـ قال العباس ـ « ابن مالك » أن النبي ﷺ قال : « اطلبوا العلمَ ولو بالصين ؛ فإن طلبَ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم » .

= فالحديث لم يخل سند من أسانيده من مجروح جرحاً شديداً ، لذلك ذكره ابن الجوزي في الموضوعات . وقال العجلوني في كشف الخفاء (ج ١ ص ١٣٨) : « ونوزع بقول الحافظ المزي : له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن ، وبقول الذهبي في تلخيص الواهيات : « روي من عدة طرق واهية ، وبعضها صالح » انتهى .

لكننا لا نقرّ ارتقاء الحديث إلى رتبة الحسن ، لأن من شرط ترقي الحديث الضعيف أن لا يكون ضعف راويه شديداً ، وههنا الضعف شديد، فلا تصلح هذه المتابعات للتقوية .

كما أنا لا نقرّ ابن الجوزي على الجزم بأن الحديث مختلق مكذوب بل إنه حديث ضعيف . لما علمت من تعدد إسناده مما يدفع الجزم بالوضع . وقد أطلنا في هذا الحديث لاقتضاء الحاجة ذلك .

(١) وفي ب « وحدثنا » .   (٢) في ب « عن »

٣٨ ـ أخبرنا [ه] أبو محمد عبد الله بن يحي بن عبد الجبار السُّكَّري أنبا يحيى بنُ وَصيف الخوّاص ثنا عبد الله بن الحسن الحَرّاني أنبا أبو بكر الأَعْيَن ح وأخبرنيه (١) أبو الحسن علي بن حمزة بن أحمد المؤَذِّن بالبصرة ثنا أبو بكر أحمد بن عبيد الله النهرديري ثنا محمد بن يزيد الراسبي ثنا العباس بن أبي طالب ببغداذَ قالا ثنا الحسن بن عطية عن أبي عاتكة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : « اطلبوا العلم ولو بالصين » زاد العباس : « فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٢) .

* * *

(١) في ب « واخبرنا » ، وفوقه بخط مغاير « واخبرنيه » . وفي هامش آ « وأنبا » ، وفوقها ص خ أي نسخة صحيحة .

(٢) ننبه هنا إلى أن ما سبق من القدح في الحديث إنما هو في جملة « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، كما مر معك في كلام الأئمة .

أما قوله « طلب العلم فريضة على كل مسلم » فقد ورد حديثاً مستقلاً من طرق كثيرة جداً تبلغ رتبة الحسن . منها ما أخرجه ابن ماجه (باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ص ٨١ رقم ٢٢٤) ولفظه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » .

قال العلامة أبو الحسن محمد بن عبد الهادي السندي في حاشيته على السنن (ج ١ ص ٩٩) : « وفي الزوائد اسناده ضعيف لضعف حفص =

٤ ـ أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن بن أحمد الحرشي بنيسابور ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا إبراهيم بن مرزوق البصري بمصر ح وأنبا [١] أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان البزّاز أنبا [٢] أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد ثنا محمد بن يونس ح وأنبا [٣] أبو نُعَيم أحمدُ بن عبد الله بن أحمدَ الحافظ بأصبهانَ ثنا أبو بكر أحمدُ بن يوسف بن خلاد ثنا محمد بن يونس بن موسى قالا

=ابن سليمان . وقال السيوطي : سئل الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى عن هذا الحديث فقال : إنه ضعيف أي سنداً ، وإن كان صحيحاً أي معنى . وقال تلميذه جمال الدين المزي : هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن . وهو كما قال ، فإني رأيت له نحو خمسين طريقاً وقد جمعتها في جزء » . انتهى .

وقد وجدنا هذه الطرق عند الحافظ السخاوي ملخصة في كتابه القيم المقاصد الحسنة (ص ٢٧٥ – ٢٧٧) . وقد مال في بحثه إلى تحسين الحديث أيضاً ثم قال :

« تنبيه : قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث « ومسلمة » وليس لها ذكر في شيء من طرقه ، وإن كان معناها صحيحاً » .

(١) « وأخبرنا » ب . (٢) « أنا » ب .
(٣) « وأخبرنا » ب .

ثنا عبد الله بن داود الخريبي عن عاصم . وفي حديث محمد بن يونس [قال] ثنا عاصم بن رجاء بن حَيْوَةَ ح وأنبا[١] أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر المقري أنبأ محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ثنا معاذ بن المثنى ثنا مُسَدَّد ثنا ابن داود قال سمعت عاصم ابن رجاء بن حَيْوَةَ يحدث عن داود بن جميل :

عن كثير بن قيس قال : كنتُ جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا الدرداء ! جئتك من المدينة ، مدينة الرسول ؛ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ .

قال ، ولا جئتَ لحاجة ؟ . قال : لا .

قال : ولا لتجارة ؟ . قال : لا .

قال : ولا جئتَ إلا لهذا الحديث ؟ . قال : لا .

قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض وكل شيء حتى الحيتان

---

(١) « وأخبرنا » ب .

في جوف الماء ، إن العلماء ورَثَةُ الأنبياءِ ، إن الأنبياءَ لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً وأوْرَثوا العلمَ ، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ »[(١)] .

وهذا لفظ حديث الأصم .

---

(١) أخرجه أبو داود (أول كتاب العلم ج ٣ ص ٣١٧) ، والترمذي (باب فضل العلم على العبادة ج ٢ ص ١١٤) والدارمي (ج ١ ص ٩٨) ، وابن ماجه (ص ٨١ رقم ٢٢٣) وابن حبان في صحيحه (انظر موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص ٤٨ - ٤٩) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج ١ ص ٣٥) ، كلهم أخرجوه عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس .

وقد تُكُلِّم في سند الحديث ، قال ابن عبد البر : « ... وأما داود بن جميل فمجهول ولا يعرف هو ولا أبوه ، ولا نعلم أحداً روى عنه غير عاصم بن رجاء ، وأما كثير بن قيس فروى عن أبي الدرداء وابن عمر ، وسمع منهما ، وروى عنه داود بن جميل والوليد بن مرة ، وليسا بالمشهورين » .

لكن الحديث تقوى بما عضده من المتابعات والشواهد :

أما المتابعات : فمنها : ما أخرجه ابن عبد البر من طريق الأوْزاعي عن عبد السلام بن سليم عن يزيد بن سمرة وغيره من أهل العلم عن كثير ابن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ . قال ابن عبد البر : قال حمزةُ الكِنَاني : « ولا أعلم أحداً من أصحاب الأوزاعي حدث به عن الأوزاعي غيره ، وهو حديث حسن غريب » . =

. . . .

= ورواه ابن عبد البر أيضاً من حديث الوليد بن مسلم – أي عن الأوزاعي – عن خالد بن يزيد عن عثمان بن أيمن عن أبي الدرداء ... وتكلم في سند الأوزاعي بما يطول نقله .

وأما الشواهد التي وردت بمعناه ، فمنها :

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبةً من كُرَبِ الدنيا نفّس الله عنه كربةً من كُرَبِ يوم القيامة ، ومن يَسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عون أخيه . ومن سَلك طريقاً يَلتَمِس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً الى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بَطّأ به عملُه لم يُسرع به نَسَبُه » .

أخرجه بطوله أحمد (برقم ٧٤٢١) ، ومسلم (ج ٨ ص ٧١) ، وابن ماجه (ص ٨٢ رقم ٢٢٥) . وأخرجه مختصراً أبو داود (ج ٣ ص ٣١٧) ، والترمذي (ج ٣ ص ١٠٨) .

ومن الشواهد : حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجعَ » أخرجه الترمذي (ج ٢ ص ١٠٨) ، وقال : « حسن غريب » .

وحديث ابن عباس قال : « ما سلك رجل طريقاً يبتغي فيه العلمَ إلا سهل الله له به طريقاً إلى الجنة » . أخرجه الدارمي (ج ١ ص ٩٩) .

ويشهد له أيضاً حديث صفوان بن عسال الآتي برقم ٧ ص ٧٩.

٥ ـ ورواه عبد الوهاب بن الضحاك العَرَضي عن إسماعيلَ بن عياشٍ الحمصي عن عاصم بن رجاء بن حَيْوةَ ، كرواية ابن داود :

أنباه[١] أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العتيقي وأبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قالا : أنبا محمد بن المظفَّر الحافظ ثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغَنْدي ثنا عبد الوهاب ابن الضحّاك ثنا ابن عياش عن عاصم بن رجاء بن حَيْوَةَ عن داودَ بن جميل :

عن كثير بن قيس قال : جاء رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء بدمشق يسأله عن حديث بلغه يحدث به أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ فقال له أبوالدرداء : ماجاء بك تجارةٌ ؟ قال :لا. قال ولا جئتَ طالبَ حاجةٍ ؟ قال : لا . قال وما جئتَ تطلبُ إلا هذا الحديثَ ؟ قال : لا . قال فأَبشِرْ إنْ كنتَ صادقاً ، فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مامن رجلٍ يخرجُ من بيته يطلبُ علمـــاً إلا وضعت له الملائكةُ أجنحتَها رضاً بما يطلبُ[٢] ، وإلا سلكَ اللهُ به طريقاً إلى الجنة،

(١) « أخبرناه » ب .

(٢) يحتمل أن يكون وضع الأجنحة على حقيقته وإن لم يُشاهَد ، أي تضعها وِطاءاً له إذا مشى لمساعدته . ويحتمل أن يكون مجازاً عن التواضع له ، والتعظيم لحقه ، والمحبة للعلم ، كما في قوله تعالى في بر الولدين : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » .

وإن العالمَ ليستغفرُ له مَنْ في السمواتِ والأرضِ ، حتى الحيتان في البحر ؛ ولَفضلُ العالمِ على العابد كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكب . إن العلماءَ هُم ورَثَةُ الأنبياءِ ، إنّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلمَ » .

٦ ـ خالفه غسان بن الربيع الكوفي عن ابن عياش فقال : ما أنبا أبو محمد عبدُ الله بن أبي بكر بن شاذانَ وأبو عبدِ الله محمدُ عبد الواحد بن محمد بن جعفر وأبو القاسم علي بن المحسّن التنوخي قالوا : أنبا القاضي أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن فَهْد الموصلي ثنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى ثنا غسان بن الربيع عن إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء بن حَيْوةَ عن جميل [1] بن قيس أن رجلاً جاء من المدينة إلى أبي الدرداء ، فسأله عن حديث . فقال له أبو الدرداء : ما جاء بك حاجةٌ ، ولا جئتَ في طلب تجارةٍ ؟ . وساق الحديثَ بطوله .

* * *

(١) هذا ما خالف فيه غسان بن الربيع ، حيث جعل الراوي « جميل بن قيس » . وكذا أخرجه الترمذي . لكن الأصح « داود ابن جميل عن كثير بن قيس » ، كما يدل سياق الخطيب . وكما نبه عليه الترمذي .

٧ ـ أخبرنا أبو بكر أحمدُ بن طلحةَ بن أحمدَ بن هارونَ الواعظ وأبو عَمرو عثمانُ بن محمدِ بن يوسف العَلاف : قال أحمد : ثنا ، وقال عثمان : أنبا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي ثنا يعقوب بن يوسف القزويني ثنا محمد بن سعيد بن سابق ثنا أبو جعفر الرازي عن عاصم بن أبي النُّجودِ عن زِرِّ بن حُبَيْشٍ قال : أتيتُ صفوانَ بن عَسّالٍ المُراديّ ، فقال : ماجاء بك ؟

قلت : ابتغاء العلم .

قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ خرجَ مِنْ بيته ابتغاءَ العلمِ وضعتْ الملائكةُ أجنحَتها له رِضاً بما يصنع[1] » .

---

(١) أخرجه الحميدي في المسند (طبع الهند رقم ٨٨١) وأحمد (ج ٤ ص ٢٤٠) والدارمي (ج ١ ص ١٠١) وابن ماجه (ص ٨٢ رقم ٢٢٦) ، وابن حبان (موارد الظمآن ص ٤٨) والحاكم في المستدرك (ج ١ ص ١٠٠) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (ج ١ ص ٣٢) ، وصححه هؤلاء الثلاثة .

والحديث له بقية ، رواه على تمامه الامام أحمد ، والحميدي ، وهذا تمامه كما في مسند الحميدي :

« قلت : حاك في نفسي مسح على الخفين بعد الغائط والبول ، وكنتَ امرءاً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ فأتيتُك أسألك هل سمعتَ =

. . . .

= من رسول الله ﷺ في ذلك شيئاً ؟ » فقال : نعم ، كان رسولُ الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سَفْراً أو مسافرين أن لا ننزعَ خِفافَنا ثلاثةَ أيامٍ ولياليهنَّ إلا من جنابة ، لكن من غائط وبول ونوم » .

« قلت : أسمعتَهُ يذكر الهوى بشيء ؟ » .

قال : نعم ، بينا نحن معه في مسير له إذ ناداه أعرابيٌّ بصوت له جهوري : يا محمد ، فأجابه النبي ﷺ بنحو من صوته : هاؤم . فقلنا له : « اغضض من صوتك فإنك نُهيتَ عن هذا » .

فقال : « لا والله لا أغضض من صوتي ! » فقال : يا رسول الله : « المرءُ يحب القومَ ولـمّا يلحقْ بهم ؟ » .

قال [ﷺ] : « المرء مع من أحب » .

قال : قال : ثم لم يزل يحدثنا رسول الله ﷺ حتى قال : « إن مِن قِبَل المغربِ باباً مسيرةُ عرضِه أربعون أو سبعون عاماً ، فتحه الله للتوبة يوم خلق السموات والأرض ، ولا يغلقه حتى تطلع الشمس منه » .

وقد طعن في الحديث من وجهين : الأول : أن مداره على عاصم ابن أبي النجود ، وهو ممن أخرج له الشيخان مقروناً بغيره لا أصلا وانفراداً ، قال أحمد وأبو زرعة « ثقة » ، وقال يعقوب بن سفيان : في حديثه اضطراب وهو ثقة . قال في الميزان : « هو حسن الحديث » .

ويجاب عن هذا بأنه قد تابعه على رواية الحديث شهود ثقات كما قال=

٨ ـ أخبرنا أبو الحسين عليُّ بن محمد بن طلحةَ الواعظ بأصبهانَ ثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني قال سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قـــال : كنا نمشي في أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين ، فأسرعنا المشي ، وكان معنا رجل ماجِنٌ مُتَّهمٌ في دينه ، فقال :

= الحاكم ثم أخرجه عن عارم ثنا الصعق بن حزن عن علي بن الحكم عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش فذكر الحديث .

الطعن الثاني : أنه اختلف فيه الرواة فرفعه جماعة ، وأوقفه جماعة على صفوان أي رووه من كلام صفوان .

والجواب أن رفع الحديث قد ثبت من رواية الثقات فتقبل زيادتهم هذه ويحكم للحديث بأنه مرفوع إلى رسول الله ﷺ .

وبهذا يتبين اندفاع الطعن عن الحديث وأنه من رتبة الصحيـح ، ويؤيد ذلك أن الترمذي اخرج منه ما يتعلق بالمسح على الخفين ج ١ ص ٢١ بنفس اللفظ وقال : « هـــذا حديث حسن صحيـح » . وأخرج البخاري جملة من الحديث من طريق عارم رواها عنه في الصحيـح .

قال أبو عمر بن عبد البر حافظ المغرب : « حديث صفوان بن عسال هذا وقفه قوم عن عاصم ، ورفعه عنه آخرون ، وهو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع ومثله لايقال بالرأي » .

« ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها !! » ، كالمستهزىء ، فما زال من موضعه حتى جَفَّتْ رِجلاهُ ، وسَقط .

* * *

٩ ـ أخبرنا أبو الحسين عليُّ بن القاسم بن الحسن الشاهد بالبصرة ثنا أبو رَوْق البَهْراني ثنا عبيد الله بن الجَهْم الأَنْماطي بالبصرة سنة تسعٍ وأربعينَ ومائتين ثنا حمزة بن ربيعة :

عن أبي مطيع معاوية بن يحيى قال : أوحى الله تعالى إلى داودَ عليه السلام : « أن اتَّخِذْ نعلين من حديدٍ وعصىً من حديد ، واطلبِ العلمَ حتى تنكسرَ العصا ، وتنخرقَ النعلان » .

* * *

١٠ ـ أخبرنا عليُّ بن أحمدَ بنِ عمرَ المقرى إجازةً وحدثينه الحسن بن محمد الخلال عنه قراءة ثنا إبراهيم بن أحمد بن الحسن القرمنسيني ثنا أحمد بن محمد بن الحسن بن أبي حمزةَ ثنا محمد بن وَزِيرٍ الواسطيُّ قال :

سمعت يزيدَ بن هارونَ يقول لحمادِ بن زيد : « يا أبا إسماعيل هل ذكر الله تعالى أصحابَ الحديث في القرآن ؟ »

فقال : نعم ، ألم تَسمعْ إلى قوله عز وجل : [« فلولا نَفَر من كل فرقةٍ منهم طائفةٌ .] : « ليتفقهوا في الدينِ ولِيُنْذِروا قومَهُم إذا رجعوا إليهم » . فهذا في كل من رحل في طلبِ العلمِ والفقهِ ، ورجع به إلى من وراءه ، فعلمه إياه »[1] .

* * *

١١ ـ أخبرنا أبو القاسم الأزهري والحسن بن محمد الخلال قالا ثنا محمد بن العباس الخزاز ثنا عبد الله بن أبي داود ثنا جعفر بن أبي سلمة ثنا عبد الله بن عمر ثنا الوليد بن بكير عن عمر بن نافع :

عن عكرمةَ مولى ابن عباس في قوله تعالى : « السائحون »

---

(١) حماد هو ابن زيد بن درهم البصري الامام الحافظ المجود شيخ العراق ، ومن فقهاء البصرة ، توفي سنة تسع وسبعين ومائة . قال أحمد ابن حنبل « هو من أئمة المسلمين من أهل الدين » انظر تذكرة الحفاظ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ . وهذا التفسير منه جيد ، وللمفسرين قول آخر في الآية ، انظره في تفسير ابن كثير ص ٤٠٠ ـ ٤٠١ .

قال : «هم طلبة الحديث»[١] .

* * *

١٢ – أخبرنا علي بن أحمد بن عمر المقري قراءة عليه أنبا اسماعيل بن علي الخَطَبي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال :

« سألت أبي – رحمه الله – عمن طلب العلم ، ترى له أن يلزم رجلاً عنده علمٌ فيكتب عنه ، أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم ؟ » ،

قال : « يرحلُ يكتبُ عن الكوفيينَ والبصريينَ وأهل المدينةِ ومكةَ ، يُشامُّ[٢] الناسَ يسمعُ منهم » .

* * *

---

(١) عكرمة من علماء التابعين الأئمة ، وكان حامل علم ابن عباس، سيا التفسير ، ينقل عنه المفسرون كثيراً . وقوله تعالى : « السائحون » هو في سورة التوبة الآية ١١٢ .

قال كثير من المفسرين : « السائحون : الصائمون » . وتفسير عكرمة مبني على الظاهر من الآية ، لأن المقصود السياحة للعبادة كالجهاد وطلب العلم علم القرآن والحديث . . . انظر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٩٢ .

(٢) يُشَامُّ : شام الشيء إذا تطلع إليـه ، وبابه باع كما في المعاجم ، والمعنى : يتطلع إلى ما عندهم ويتطلعون إلى ما عنده . وفي النسخة ب « يشافه الناس ليسمع منهم » .

١٣ ـ أخبرنا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدِّينَوري ثنا أبو علي [أ]حمد بن عبد الله الأَصْبَهاني قال : سمعت أبا عبد الله عمر بن محمد بن اسحاق العطار يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول :

سمعت أبي يقول : « طلبُ عُلوِّ الإسنادِ من الدين»[١].

* * *

١٤ ـ أخبرنا أبو نعيم الحافظ أخبرني محمد بن عبد الله الضبي في كتابه قال حدثني أبو عمر عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عمر القرشي ثنا أبي ثنا جعفر الطيالسي قال :

سمعت يحي بن معين يقول : « أربعة لا تُؤْنِس منهم رُشْدا : حارسُ الدرب ومنادي القاضي ، وابنُ المحدث ، ورجلٌ يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث » .

* * *

١٥ ـ أخبرني محمد بن أبي القاسم الأزرق أنبا أبو بكر محمد بن الحسن النقاش أن محمد بن عصام حدثهم بمرو قال سمعت عبد الرحمن بن محمد بن حاتم قال :

---

(١) سبق تعريف علو الاسناد في التقديم ص ٢٠

بلغني أن ابراهيم بن أدهم قال : « إن الله تعالى يرفعُ البلاءَ عن هذه الأمة برحلةِ أصحابِ الحديث »[١] .

* * *

١٦ ـ أخبرنا أبو منصور أحمد بن الحسين بن علي بن عمر بن محمد السُّكَّرِي ثنا محمد بن إسماعيل الوراقُ إملاءً ثنا علي ابن محمد بن أحمد ثنا الحسن بن علي بن ياسر ثنا أبو بكر بن أبي عتاب الأعين :

ثنا زكريا بن عدي قال رأيت ابن المبارك في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : « غفر لي برحلتي في الحديث » .

* * *

---

(١) هذه الآثار وغيرها صريحة في تأكيد السلف أمر الرحلة في طلب الحديث ، وقد استشهد بها العلماء في تصانيفهم على هذا المعنى ، وعلى ضرورة الرحلة في منهج التحصيل العلمي لطالب الحديث . انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ٢٢٢ - ٢٢٣ بتحقيقنا ، وشرح العراقي لألفيته ج ٣ ص ٨٦ وفتح المغيث للسخاوي ص ٣٢١ ، وتدريب الراوي ص ٣٤٦ .

فاعجب لإنسان لم يتلق هذا العلم عن أحد من أهله ، فضلاً عن أن يرحل من أجله ، يتطاول على أهل العلم السابقين واللاحقين ، يرد عليهم ويطعن في خيارهم ، ويشتم من يخالف رأيه وهواه ، كل ذلك باسم الحديث والمحدثين .. !!

١٧ ـ أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان أنبا عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتويه النحوي ثنا يعقوب بن سُفيانَ حدثني الفضل بن زياد قال :

قال أحمد بن حنبل رحمه الله : « لم يكن في زمان ابن المبارك أطلبَ للعلم منه ؛ رحل إلى اليمن وإلى مصر وإلى الشام والبصرة والكوفة ، وكان من رواة العلم وأهلِ ذلك . كتب عن الصغار والكبار :

كتب عن عبد الرحمن بن المهدي ، وعن الفزاري ، وجمع أمراً عظيماً »[1] .

* * *

١٨ ـ وقال يعقوب حدثني الفضل قال سمعت أحمد رحمه الله وقال له رجل :

« عمّن ترى أن يُكْتَبَ الحديثُ ؟ » .

---

(١) أما مثل ابن المبارك في الرحلة لطلب الحديث ، وتفتيش المدن والامصار في جميع الأقطار فجماعة كثيرة في كل عصر من عصور السلف ، وهم أئمة هذا الشأن ، وحَفَظة الحديث والسنة ، مثل اسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل ، وعلى ابن المديني ، ويحيى بن معين وأصحاب الكتب الحديثية المشهورة ، وغيرهم رضي الله عنهم وأجزل عن الدين مثوبتهم .

فقال له : « أُخرج إلى أحمدَ بن يوسف ؛ فإنه شيـخ الإسلام » .

* * *

١٩ ـ أخبرنا ابن الفضل ثنا[٢] عبد الله بن جعفر ثنـا يعقوب قال حدثني أبو بكر بن عبد الملك ثنا عبد الرزاق ثنا معمر قال :

قال لي أيوب : « إن كنت راحلاً إلى أحد فارحل إلى ابن طاوس ، وإلا فالزم تجارتك » .

* * *

٢٠ ـ أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمدَ بن محمد بن أحمدَ بن رِزْق البَزّاز أنبا اسماعيل بن علي الخطبي وأبو علي بن الصواف وأحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي رحمه الله ورضي عنه ثنا عبد الصمد ثنا همام ثنا عاصم بن بَهْدَلَةَ ، قال :

حدثني زِرُّ بن حُبَيْش قال : « وفدتُ في خلافة عثمانَ بن عفانَ ، وإنما حملني على الوِفادةِ لُقِيُّ أُبَيٍّ بن كعب ، وأصحابِ رسول الله ﷺ » .

* * *

(٢) « أنا » ب

٢١ ـ حدثنا ابن الفضل أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن أبي قطن عن أبي خلدة :

عن أبي العالية قال : « كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة ونحن بالبصرة فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم »[1] .

* * *

٢٢ ـ أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل ابن شاذان الصيرفي بنيسابور أنبا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن اسحاق الصغاني ثنا أبو نوح قراد أنبا[2] أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال :

«كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه فأول ما أفتقد منه صلاته ، فإن أجدْهُ يُقيمُها أقمتُ وسمعت منه ، وإن أجدْهُ يضيِّعها رجعتُ ولم أسمعْ منه ، وقلتُ : هو لغير الصلاة أَضْيَعُ » .

* * *

٢٣ ـ أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن الحسين بن

---

(١) وأخرجه الخطيب أيضاً في الكفاية ص ٤٠٣

(٢) « ثنا » ب

اسماعيل المحاملي والحسن بن أبي بكر بن شاذان قالا أنبا محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الاسكافي ثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم القاضي ثنا أبو سعيد الجعفي :

ثنا وكيع قال : « كنتُ أرى ابنَ عونٍ في النوم من شوقي إليه ، وأنا أختلف إلى الأعمشِ ، فلما مات الأعمشُ رحلتُ إليه فسمعتُ منه » .

* * *

٢٤ ـ أخبرنا ابن الفضل أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني الفضل - هو ابن زياد ـ قال :

سمعت أبا عبد الله[1] يقول : « ليس تَضمُّ إلى معمرٍ أحداً إلا وجدته فوقَه ؛ رحل في الحديث إلى اليمن ، وهو أولُ من رحل . فقال له أبو جعفر : والشام ؟ فقال : لا الجزيرة » .

* * *

٢٥ ـ أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله

---

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كما في التذكرة ص ١٩٠ والتهذيب ج ١٠ ص ٢٤٤ .

ابن مهدي البزاز أنبا أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار ثنا أحمد بن منصور بن راشد ثنا علي بن الحسن أنبا أبو حمزة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال :

قال عبد الله : « والذي لا إله غيره لقد قرأتُ مِنْ في رسول الله ﷺ بضْعاً وسبعينَ [١] سورةً . ولو أعلمُ أحداً أعلمَ بكتابِ الله مني تُبَلِّغُني الإبلُ إليه لأتَيْتُه » .

٢٦ ـ أنبا [٢] ابن الفضل أنبا [٣] عبدالله بن جعفر ثنا يعقوب ثنا ابن نمير ثنا يحيى بن عيسى عن سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال:

قال عبد الله : « ما أُنزِلتْ آيةٌ إلا وأنا أعلمُ فيما أُنزِلَتْ . ولو أني أعلمُ أنّ أحداً أعلمَ بكتابِ الله منى تُبَلِّغُه [٤] الإبلُ والمطايا لأتيتُه » [٥] .

* * *

---

(١) « وستين » ب (٢) « أخبرنا » ب

(٣) « ثنا » ب

(٤) في ب « تبلغني الابل أو المطايا لأتيته »

(٥) عبد الله صاحب هذا الحديث والذي قبله هو ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه . وحديثاه متفق عليهما ، البخاري في فضائل القرآن (باب القراء من أصحاب النبي ﷺ ج ٦ ص ١٨٦ - ١٨٧) ، ومسلم في الفضائل (ج ٧ ص ١٤٨) .

٢٧ ـ أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الحناني أنبا علي بن محمد بن الزبير الكوفي ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا جعفر بن عون ثنا عيسى الحناط :

عن الشعبي قال : « لو أنّ رجلاً سافر من أقصى الشامِ إلى أقصى اليمنِ فحفظَ كلمةً تنفعه فيما يستقبِلُه من عُمرِهِ رأيت أن سفره لايضيع » .

* * *

٢٨ ـ أنشدني أبو علي الحسن بن علي بن محمد الوَخشي [الحافظ] بأصبهان قال أنشدني أبو الفضل العباسُ بنُ محمد الخُراساني :

رحلتُ أُطلبُ أصلَ العلمِ مجتهداً وزينةُ المرءِ في الدنيا الأحاديثُ

لايطلبُ العلمَ إلا بازلٌ ذكرٌ وليس يُبغضُه إلا المخانيثُ

لا تُعْجَبَنَّ بمالٍ ؛سوف تتركُه فإنما هــذه الدنيا مواريثُ

* * *

ذكر رحلة نبي الله موسى
صلى الله على نبينا وعليه وسلم
وفتاه في طلب العلم

٢٩ ـ أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن [أحمد بن[1]] غالب الخُوارزمي البَرْقاني قال قرأت على أبي العباس بن حمدانَ حدثكم محمد بن نُعَيم بن عبد الله ثنا اسحاق بن إبراهيم الحنظلي أنبا سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عَمرو بن دينار أنه سمعَ سعيدَ بن جُبَير يقول :

« قلت لابن عباس : إن نوفاً البِكَالي يزعم أن موسى ليس بصاحبِ الخضِر ، إنما هو موسى آخر ؟ » .

فقال ابن عباس : « كذب عدوُّ الله »[2] .

---

(١) زيادة من ب وهامش آ وعليه خ ص .

(٢) نوف البِكالي بكسر الباء وفتحها نسبة إلى بكال بطن من حِمْيَر ، تابعي من أهل دمشق فاضل عالم ، لا سيما بالاسرائيليات ، وقول ابن عباس هذا ، قاله ـ والله أعلم ـ غضباً ، لأن نوفا قال غير الحق ، ولم يرد اتهامه في دينه ، وقد ورد لفظ الكذب بمعنى الخطأ في الأحاديث والآثار .

قال ابن عباس : حدثنا أُبَيٌّ بنُ كَعْبٍ عن رسولالله صلى الله عليه وسلم : « أن موسى عليه السلامُ قام في بني إسرائيل خطيباً ، فَسُئِلَ أي الناس أعلمُ ؟ فقال : « أنا » . فعتبَ الله عليه حيث لم يَرُدَّ العلمَ إليه ، فقال : « عبدٌ لي عند مجمع البحرين [و] هوَ أعلمُ منك »[١] .

قال : « أي رب فكيف به ؟ » .

قال : « تأخذُ حُوتاً فاجعلْه في مِكْتَل[٢] ، فحيثُ ما فقدتَ الحوتَ فهو ثَمَّ[٣] » .

قال : « فأخذَ حُوتاً فجعله في مِكْتَلٍ ثم انطلقا يمشيان ، معه فتاه يوشع بن نون ، حتى أتى الصخرةَ فنام ، واضطرب الحوتُ في المِكْتَلِ فخرج منه فسقط في البحر ، فأمسك الله عن الحوت الماءَ مثلَ الطاقِ[٤] ، وجاوزَ موسى ، فلما

---

(١) أي في أمور مخصوصة ، كالتي سيأتي ذكرها في الحديث ، لقوله فيما بعد لموسى : « إنك على علم علمكه الله لا أعلمه ، وأنا على علم علمنيه لا تعلمُه أنت »

(٢) أي سمكة اجعلها في زنبيل .

(٣) أي في المكان الذي تفقد فيه السمكة .

(٤) أي أمسك الماء على السمكة فلم تستطع مجاوزة موضعها الذي نزلت فيه ، بل ظلت في مكانها كما في رواية مسلم : « فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوة » .

استيقظ موسى نسي أن يخبره بالحوت .

وقال له[١] : « إني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيهُ إلا الشيطانُ أنْ أذكُرَه » الآية .

فلما كان من الغد قال له موسى : « آتنا غداءَنا لقد لقينا من سفرنا هذا نَصَباً » . فلم يجد النَصَب حتى جاوزَ حيثُ أمره الله .

قال : « ذلك ماكنا نبغي فارتدا على آثارهما قَصَصاً » ، فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، وكان للحوت سَرَباً ولهما عَجَبا ، فإذا رجل مُسَجّىً نائمٌ ، فسلَّم موسى .

فقال له الخَضِرُ : « وأنَّى بأرْضِكَ السلامُ » أو قال بأرضي السلامُ – الشك من إسحاق – .

فقال له موسى : « أنا موسى بني إسرائيل أتيتك لتعلّمَني مما عُلِّمْتَ رُشْداً » .

قال : « إنك على علمٍ علمكَهُ الله لا أعلمُه ، وأنا على علمٍ علمنيه لا تعلُمه أنت » .

قال : « فإني أتبعُك على أن تُعَلِّمَني مما عُلِّمتَ رُشداً » .

---

(١) أي في الغد عندما قال موسى « آتنا غداءنا » .

قال : « إنك لن تستطيعَ مَعِيَ صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تُحِطْ به خُبْراً » .

قال : « ستجدُني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً » .

قال : « فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيءٍ حتى أحدثَ لك منه ذِكراً » .

فانطلقا يمشيان إلى الساحل فعُرِفَ الخَضِرُ فحُمِل بغير نَوْل [١] في السفينة فلم يَفْجَأْ إلا والخَضِرُ يريد أن يقلعَ لوحاً .

فقال موسى : « أخرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهلَها لقد جئتَ شيئاً إمْراً [٢] » .

قال : « ألم أُقلْ إنك لن تستطيعَ مَعِيَ صبراً » .

قال : « لا تؤاخذني بما نسيتُ » .

قال : « وكانت الأولى نسياناً . قال : وجاء عصفورٌ ، فوقع على حرْفٍ من السفينة ، فنقر من البحر ، فقال له الخضر : « مانقص علمي وعلمُكَ من علمِ الله إلا مانقصَ العصفورُ من

---

(١) أي بغير أجرة .

(٢) أي عظيماً .

هذا البحر » .

فلما خرجا من البحرِ أبصر غُلاماً من الغلمان يلعب فتناوله فقطع رأسه . فقال موسى : « أقتلتَ نفساً زكية[١] بغير نفس لقد جئت شيئاً نُكْرا » .

قال : « ألم أَقُلْ لك إنك لن تستطيعَ معِيَ صَبْرا » .

قال : إن سألتُكَ عن شيءٍ بعدها فلا تصاحِبْني . قد بلغتَ من لَدُنِّي عُذْراً » .

فانطلقا ، حتى إذا أتيا أهلَ قريةٍ استطعما أهلَها فأبوا أنْ يُضَيِّفُوهُما ، فوجدا فيهـــا جداراً يريدُ أنْ ينقضَّ ، فقال الخضرُ هكذا بيده فأقامَه .

فقال له موسى : « أتينا أهل هذه القرية فلم يضيفونا ، فلو اتخذتَ عليه أجراً » .

قال : « هذا فراقُ بيني وبينِك سأُنَبِّئُكَ بتأويلِ مالم تستطعْ عليه صبراً ، أما السفينة » ... تلا الآيات[٢] ..

---

(١) أي طاهرة بريئـــة من الذنب ، وقوله شيئاً نكراً أي أي منكراً كبيراً .

(٢) وفي الآيات كشف للستار عما وراء تلك المسائل من الأسرار ، نتلوها عليك فيما يلي : =

قال رسول الله ﷺ : « وَدِدْنا أنه كان صبرَ ، حتى يُقَصَّ علينا من خبرهما » .

قال وكان ابن عباس يقرأ[1] : وأما الغلام فكان كافراً.

قال ابن عباس : وكان أمامهم مَلِكٌ يأخذ كل سفينة صالحةٍ غصباً[2] ».

٣٠ ـ أخبرني أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله النجار ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن شداد المطرِّز ثنا عبد الله

= « أما السفينةُ فكانت لمساكينَ يعملونَ في البحرِ فأردتُ أن أعيبَها وكان وراءهم ملكٌ يأخذُ كلَّ سفينةٍ غصباً .

وأما الغلامُ فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقَهما طغياناً وكفراً . فأردنا أن يبدلَهما ربُّهما خيراً منه زكاةً وأقربَ رُحماً .

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً ، فأرادَ ربُّك أنْ يبلغا أشدَّهما ويستخرجا كنزَهما رحمةً من ربك ، وما فعلتُه عن أمري ذلك تأويلُ ما لم تسطع عليه صبراً ».

(١) هذه القراءة من ابن عباس للتفسير وبيان المعنى .

(٢) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في العلم في عدة أبواب، وفي الاجارة ، وفي الشروط ، وبدء الخلق ، والانبياء ، والتفسير ، والأيمان والنذور ، وفي التوحيد . واخرجه مسلم في الفضائل ج ٧ ص ١٠٣ – ١٠٨ . والترمذي في تفسير سورة الكهف .

بن محمد بن عبد العزيز ثنا أبو الربيع الزهراني ثنا يعقوب القمي ثنا هارون بن عنترة عن أبيه [١] :

عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه فقال :

أيْ ربِّ أيُّ عبادِكَ أحبُّ إليكَ ؟

قال : « الذي يذكرُني ولا ينساني » .

قال : « ربِّ ! فأي عبادك أعلم » ؟

قال « الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هُدى أو تَرُدَّه عن ردىً » .

قال « : ربِّ ! فأي عبادك أقضى » ؟

قال : « الذي يقضي بالحق ولا يتبعُ الهوى » .

قال : « ومن ذاك يارب ؟ »

قال : « ذاك [٢] الخَضِرُ » .

---

(١) طريق هارون بن عنترة عن أبيه أخرج الحديث منه أيضاً عبد بن حميد في مسنده كما في فتح الباري ج ٨ ص ٢٨٨ .

وهارون بن عنترة وثقه أحمد ويحيى بن معين ، وقال الحافظ : « لا بأس به » . وقال ابن حبان : « لا يجوز أن يحتج به ... منكر الحديث جداً » . انظر ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٢٨٤ . وقول الحافظ أقرب ، كما أشرنا في التعليق على المغني في الضعفاء رقم ٦٧٠٠ .

(٢) « ذاك » ليس في ب .

قال : وأين أطلبه » ؟

قال : « على الساحل عنـد الصخرة التي ينقلب عندها الحوتُ » .

« قال : « فخرج موسى يطلبه حتى كان منه ماذكر الله تعالى . فانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلم كل واحد منها على صاحبه » .

فقال له موسى : « إني أحبُّ أن تصحَبَني » .

قال : « إنك لن تطيقَ صُحبْتي » .

قال : « بلى » .

قال : « فإن صَحِبتَني فلا تسألْني عن شيء حتى أحدث الك منه ذكراً » .

فانطلقا . حتى إذا ركبـا في السفينة خرقها قـال : أخرقْتَها لِتُغرْقَ أهلها لقد جئتَ شيئاً إمراً ؟ !

قال : « ألم أقلْ إنكَ لن تستطيع معي صبراً » ؟

قال : « لاتؤاخذْني بمـا نسيت ولا ترهقني من أمـري عسراً » .

فانطلقا . حتى إذا لقيا غلاماً فقتله .

قال : « أقتلتَ نفساً زكية بغير نفس لقد جئتَ شيئاً نُكْراً » !

قال : « ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ! »

قال : « إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لَدُنِّي عذراً » .

فانطلقا . حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضَّ فأقامه .

قال : لو شئتَ لَاتَّخذْتَ عليه أجراً » .

قال : « هذا فِراقُ بيني وبينِك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً » .

قال : فأخبره بما قال الله تعالى .

فسار به في البحر حتى أنتهى الى مجمع البحور[1] .

قال : « ياموسى ! هل تدري أي مكان هذا ؟ »

قال : « لا » !

---

(١) هذا التفصيل لما أجمل في مطلع القصة في قوله « حتى إذا ركبا في السفينة خرقها... »رجع إلى بيانه بعد استيفاء القصة بإيجاز . وقوله « مجمع البحور » أي البحرين كما ثبت في «ب» ، لان الجمع قد يطلق على المثنى .

قال : « هذا مجمع البُحور ليس في الأرض مكان أكثر ماءاً من هذا » .

قال : وبعث ربك الخطّافَ فجعل يستقى من الماء بمنقاره .

قال : « ياموسى كم ترى هذا الخطافَ رزيءَ من [هذا] الماء » ؟

قال : « ما أقلَّ مارزىءَ » .

قال : « فإن علمي وعلمك في علم الله كَقَدْرِ ما حملَ هذا الخطاف من هذا الماء » .

وقد كان موسى قد حدّث نفسه بأنه ليس أحدٌ أعلمَ منه أو تكلم به ، مِنْ ثَمّ أُمِرَ أنْ يأتيَ الخضرَ[١] .

* * *

قال بعض أهل العلم : إن فيما عاناه موسى من الدَّأَبِ والسفر وصبر عليه من التواضع والخضوع للخضر ، بعد معاناة قصده ، مع محل موسى من الله وموضعه من كرامته وشرف نبوته دلالة على ارتفاعِ قدرِ العلم وعلو منزلة أهله ، وحسنِ

---

(١) لا تنافي بين أن يكون هذا سبب رحلة موسى وبين ما ذكره في مطلع هذه الرواية ، لجواز كونهما معاً سبب الرحلة .

التواضع لمن يُلْتمَسُ منه ويؤْخذُ عنه ، ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحدٌ بارتفاع درجةٍ وسمو منزلة لسبق الى ذلك موسى ، فلما أظهر الجِدَّ والاجتهاد والانزعاج عن الوطن والحرصَ عن الاستفادة مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل من العلم إلى ماهو غائبٌ عنه دلَّ على أنه ليس في الخلقِ من يعلو على هذه [الحال] ولا يكبر عنها [١] .

---

(١) وفي الحديث فوائد كثيرة جداً ، وحكم عظيمة يطول بسطها ، نذكر منها :

١ – ركوب البحر في طلب العلم ، بل في الاستكثار من العلم ، وتحمل المشقات في سبيله .

٢ – لزوم التواضع في كل حال ، ولهذا طلب موسى التعلم من الخضر عليهما السلام تعليماً لقومه ، وتنبيهاً لكل من زكى نفسه أن يسلك مسلك التواضع . وفي هذا عبرة عظيمة لمن يتعالم على الناس ويتعاظم ، فهل يعتبر بذلك من يصدرون أنفسهم في سدة العلم والسنة ، أم أن هذا لغيرهم ؟ !

٣ – أن العالم إذا سئل "منْ" أعلم فإنه يقول « الله أعلم » فيرجع أمر العلم دائماً إلى الله ، لذلك يكثر العلماء المحققون العاملون من قول « الله أعلم » تبرءا من حولهم إلى الله .

٤ – مشروعية الاجارة لقوله : « لو شئت لاتخذت عليه أجراً » .

٥ – الوفاء بالعهود والشروط التي يبرمها المؤمن . =

وقد رحل غيرُ واحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث إلى البلاد البعيدة ، وعدةٌ من التابعين بعدهم ، نحن نوردُ أخبارهم التي أدت إلينا ذلك عنهم بمشيئة الله ومعونته :

---

٦ ـ سعة علم الله تعالى ، وأنه لا نهاية له ، ولا غاية تحصره .

٧ ـ ان الله يفعل في ملكه ما يشاء ، ويحكم في خلقه بما يريد ، فيجب على الخلق التسليم والقبول ، لان ادراك العقول لاسرار الربوبية قاصر ، إلا ما أطلع عليه الله أحـــداً من خلقه . نسأل الله ذلك من فضله .

* * *

ذكر من رحل في حديث واحد من الصحابة الأكرمين

رضي الله عنهم أجمعين

٣١ ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يوسف الصياد والحسن بن أبي بكر قالا : أنبا أحمد بن يوسف بن خلاّد العطار [ح] وانبا الحسن بن أبي بكر انبا محمد بن محمد بن أحمد ابن مالك الإسكافي قالا : ثنا الحارث بن محمد (١) بن أبي أسامة :

وأخبرتنا أم الفرَج فاطمة بنت هلال بن أحمد الكرخي قالت : أنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق ثنا الحارث بن أبي أسامة التميمي ثنا يزيد بن هارون أنبا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي [ح] وحدثني أبو القاسم عبد (٢) الله

(١) (ابن محمد) ليس في ب .

(٢) في هامش آ « عبيد » وفوقها خ ص .

ابن أحمد بن علي السُّوذَرْجاني لفظا باصبهان ـ وسياق الحديث له ـ ثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي بن المقري ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا شيبان ثنا همام ثنا القاسم بن عبد الواحد قال حدثني عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب :

أن جابر بن عبد الله حدثه قال : بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسَمَعْهُ منه ، قال فا بتعْتُ بعيرا ، فشددتُ عليه رَحْلي ، فسرتُ إليه شهراً حتى أتيتُ الشام ، فإذا هو عبد الله بن أُنَيس الأنصاري . قال فأرسلتُ إليه أنّ جابراً على الباب .

قال : فرجع إليّ الرسولُ فقال : جابر بن عبد الله ؟ .

فقلت : نعم .

قال : فرجع الرسول إليه فخرج إليّ فاعْتَنقني واعتنقتُه .

قال : قلت : حديث بلغني أنك سمعتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعْه ، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعَه ! .

فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

« يحشُرُ الله العبادَ ، أو قال : يحشرُ الله الناسَ ـ قال وأوْمأ بيده الى الشام ـ عُراةً غُرْلاً [١] بُهْماً » .

قلت : ما بُهْما ؟ . قال : ليس معهم شيء ! .

قال : فيناديهم بصوت يسمعهُ مَنْ بَعُدَ كما يسمعهُ من قَرُبَ : « أنا الملك أنا الديان [٢] ، لا ينبغي لأحد من أهلِ الجنةِ أن يدخلَ الجنةَ وأحدٌ من أهلِ النارِ يطلبُه بمظلمةٍ ، ولا ينبغي لأحدٍ من أهلِ النارِ يدخل [٣] النار وأحدٌ من أهل الجنة يطلبُه بمظلمة حتى اللطمة » .

قال : قلنا : كيف هو ، وإنما نأتي الله تعالى عراةً غُرْلاً بُهْما ؟ ! » .

قال : بالحسنات والسيئات » [٤] .

---

(١) غرلا : جمع أغرل ، وهو الذي لم يختن .

(٢) الديان : صيغة مبالغة من دان ، بمعنى جازى ، ومنه يوم الدين : أي يوم الجزاء .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند (ج ٣ ص ٤٩٥) والبخاري في الأدب المفرد (باب المعانقة ج ٢ ص ٤٣٣) وذكره في صحيحه (ج ١ ص ٢٢) تعليقاً بصيغة الجزم . وأخرجه الحاكم في المستدرك في=

. . . .

=موضعين(ج ٢ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ و ج ٤ص ٥٧٤ - ٥٧٥) وصححه في الموضعين ، وصححه الذهبي أيضاً .

لكن في سند الحديث عبد الله بن محمد بن عقيل . قال الترمذي : « هو صدوق ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه ، وسمعت محمد بن اسماعيل - يعني البخاري - يقول : كان أحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه والحميدي يحتجون بحديث عبد الله بن محمد بن عقيل . قال محمد : وهو مقارب الحديث » .

إلا أن هذا الحديث لا ينزل عن رتبة الصحة لما تقوى به من المتابعة ، فقد ورد من طريقين آخرين :

الأول : طريق أبي الجارود العبسي الذي أخرجه الخطيب بعد هذا الحديث ، ويأتيك البحث فيه .

الثاني : أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ، وتمّام الرازي في فوائده من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : « كان يبلغني عن النبي ﷺ حديث في القصاص ... » وإسـناده صالح كما في فتح الباري (ج ١ ص ١٢٧) .

فهذا التعدد في الاسناد يصحح الحديث ، مع كونه حجة بنفسه عند أحمد بن حنبل ومن معه .

٣٢ ـ وهكذا رواه عبد الوارث بن سعيد التنوري عن القاسم بن عبد الواحد :

أخبرناه علي بن أحمد بن عمر المقري أنبا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ثنا معاذ بن المثنى ثنا مسدد ثنا عبد الوارث عن القاسم بن عبد الواحد عن عبد الله بن محمد ابن عقيل :

عن جابر بن عبد الله قال : بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتريتُ بعيراً فشدَدْتُ عليه رحلاً ثم سرتُ إليه شهراً حتى قدمتُ مصر[1] قال : فخرج إليَّ غلام أسود فقلت : استأذن لي على فلان .

قال : فدخل فقال : إن أعرابياً بالباب يستأذنُ !

قال : فاخرجْ إليه فقل له : مَنْ أنت ؟

قال فقال له : « أخبره أني جابر بن عبد الله » .

قال : فخرج إليه فالتزم كل واحد منهما صاحبه .

قال : فقال : ماجاء بك ؟ .

---

(١) الراجح أنه رحل إلى الشام كما في الرواية السابقة .

قال : حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ في القصاص ، وما أعلم أحداً يحفظه غيرك[١] ، فأحببت أن تذاكرنيه .

فقال : نعم ، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « إذا كان يوم القيامة حشر الله عباده عُراةً[٢] غُرْلاً بُهْماً ، فيناديهم بصوتٍ يسمعُه مَنْ بعُدَ منهم كما يسمعُه من قَرُب : « أنا الملكُ أنا الدّيّان لا تظالموا اليومَ ، لاينبغي لأحدٍ من أهلِ الجنةِ أنْ يدخلَ الجنةَ ولأحدٍ من أهل النارِ قِبَلَهُ مَظْلِمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النارِ أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة قِبَلَه مَظْلِمة ، حتى اللطمة باليد » .

قالوا : « يارسول الله وكيف وإنما نأتي الله[٣] عُراة غُرْلا بُهْما ! » .

---

(١) في الأصل « غيره » .

(٢) وفي ب « حفاة » .

(٣) لفظ الجلالة « الله » ملحق بالحاشية في النسخة الأصل دون أن يكون له علامة التصحيح .

قال : « من الحسنات والسيئات »[١] .

٣٣ ـ ورُوِيَ عن أبي جارود العبْسي[٢] عن جابر بن عبد الله :

أخبرنيه عبدُ العزيز بن علي الأرجي ثنا علي بن عمر ابن محمد الحربي ثنا حامد بن بلال البخاري ثنا محمد بن عبد الله المقرى البخاري ثنا يحيى بن النضر ثنا عيسى غنجار عن عمر بن الصُبح عن مقاتل بن حيان عن أبي جارود العَبْسي[٣]

---

(١) أي يؤخذ من حسنات الظالم فيعطى للمظلوم ، وان لم يكن له حسنة يؤخذ من سيئات المظلوم ويطرح على الظالم ، فيتخفف المظلوم من سيئاته ، ويزاد الظالم في النكال والعذاب بدل سيئات المظلوم .

(٢) و (٣) « العبسي » بالباء واضح جداً في المخطوطتين . وضبطه الحافظ ابن حجر في الفتح ج ١ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، فقال : « وهو بالنون الساكنة » .

وأيا ما كان فإن أبا جارود هذا ليس ـ في رأينا ـ هو زياد بن المنذر الأعمى المترجم في التقريب والتهذيب وغيرهما ، وذلك لأسباب منها :

١ ـ أن أبا جارود الذي في هذا الحديث تابعي متقدم يروي عن جابر ، ويروي عنه مقاتل بن حيان ، أما زياد بن المنذر فمتأخر لا رواية له عن الصحابة.

٢ ـ أن أبا جارود نسب هنا عبسياً ، أما زياد بن المنذر فإنه نهدي أو همداني .

=

أن جابر بن عبد الله قال : بلغني حديث في القصاص وكان صاحبُ الحديث بمصر فاشتريت بعيراً وشددتُ[١] عليه رَحْلاً ثم سرت شهراً حتى وردتُ مصر فسألتُ عن صاحب الحديث فدُلِلْتُ عليه وإذا هو باب لاطٍ[٢] ، فقرعتُ البابَ فخرج إليَّ مملوكٌ له أسودُ فقلتُ : ها هنا أبو فلان . فسكت عليَّ[٣] فدخل فقال لمولاه : بالباب أعرابيٌّ يطلبك فقال : اذهب فقل له : من أنت ، فقلت : أنا جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فخرج إليَّ فرحّب بي وأخذَ بيدي . قلت : حديث في القصاص لا أعلمُ أحداً ممن بقيَ أحفظَ له منك . فقال : أجل . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

= ٣ - أن الحافظ قال في سند هذا الحديث الذي من طريق أبي جارود : « وفيه ضعف » . أما زياد بن المنذر فكذاب وضاع لا يصلح أبداً أن يقال في إسناده « فيه ضعف » بل يقال : « واه » أو ما في هذا المعنى مما يفيد الوهن الشديد .

(١) في ب « فشددت » .

(٢) باب لاطٍ : أي مغلق .

(٣) في ب « عني » .

« إنَّ اللهَ يبعثُكم يومَ القيامة حُفاةً عُراةً غُرلاً ، وهو تعالى على عرشه ينادي بصوت له رفيع غير فظيع يُسْمِعُ البعيدَ كما يُسْمِعُ القريبَ[١] ، يقول : « أنا الديَّانُ لا ظلمَ عندي ، وعزتي لايجاوزني اليوم ظلمُ ظالم ولو لطمةً ولو ضربةَ يدٍ على يد ، ولأقتصنَّ للجمّاء من القرْناء[٢] ، ولأسالنّ الحجر لم نكب الحجر ولاسالن العود لم خدَش صاحبه » في ذلك أنزَلَ عليَّ في كتابـــه :

« ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ

---

(١) قوله : « رفيع غير فظيع » لم يثبت إلا في هذه الرواية ، وهي لا تصلح لاثبات هذا الوصف لله تعالى ، لما فيها من ضعف ، إنما ساقها الحافظ الخطيب لتقوية أصل الموضوع الذي اشتملت عليه الرواية الأصلية .

أما قوله : « يسمع البعيد كما يسمع القريب » فهو ثابت في كافة الروايات . والمعنى المراد منه أنه سبحانه يناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، على الوصف اللائق بذاته المقدسة ، مما لا نعلم كنه حقيقته . ولا يتوهم أنه صوت حقيقة كأصواتنا ، كلا ، ألا ترى أنه قال : « يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب » وأصواتنا يسمعها القريب دون البعيد . تعالى ربنا عن مشابهة شيء من خلقه « ولم يكن له كفواً أحد» .

(٢) الجماء : التي ليس لها قرون ، والقرناء : التي لها قرون

شيئاً »[١] .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخوفَ ما أخافُ على أمتي من بعدي عملُ قومِ لوط ، ألا فلترقَّبْ أمتي العذابَ إذا تكافأ الرجالُ بالرجال[٢] ، والنساء بالنساء » .

* * *

٣٤ ـ أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا ابن جريج قال سمعت أبا سعد الأعمى يحدث عطاء بن أبي رباح قال :

خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم أتى منزل مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد الانصاري ؛ وهو أمير مصر ، فأُخبر به ، فعجل فخرج إليه فعانقه ، وقال : « ماجاء بك يا أبا أيوبَ ؟ » .

قال : « حديث سمعتُه من رسول الله ﷺ لم يبق أحد

(١) الآية ٧٤ من سورة الأنبياء

(٢) في ب « الرجل بالرجل » .

سمعه غيري وغير [عقبة ، فابعث من يدلني على منزله ، قال فبعث معه من يدله على منزل عقبة ، فأخبر عقبة به ، فعجل فخرج إليـه ، فعانقه وقال : « ماجاء بك يا أبا أيوب ؟ » . فقال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغير][1] ك في ستر المؤمن .

قـال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَتَر مؤمناً في الدنيـا على خُرْبَةٍ[2] ستره الله يومَ القيامة » .

فقال له أبو أيوب : « صدقْتَ » ثم انصرف أبو أيوب

---

(١) ما بين المعكوفين ليس في نسخ كتاب الرحلة ، إنما ثبت في مسند الحميدي في مخطوطتي الظاهرية والجامعة العثمانية فأثبتناه لافتقار المعنى إليه ، ويظهر أن هذا السقط وقع في نسخة الخطيب البغدادي من مسند الحميدي . ووقع إفادة ذلك بمعناه في رواية الخطيب للحديث من وجهين آخرين عن سفيان في كتابه « الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة » (ق ٢٤٤ ـ أ ب) .وقد كنت علقت في المسودة بقولي : « إنما أتى منزل مسلمة ليستدل منه على عقبة ، ففي الكلام اختصار يعرف من النظر في الروايات ، والقائل سمعت رسول الله ﷺ هـو عقبة بن عامر » ثم وقفت على ذلك في مسند الحميدي ، فوافق ما قدرته ولله الحمد .

(٢) أي ستر سوءة أو معصية فعلها ولم يفضحه .

إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة ابن مُخَلَّد إلا بعريش مصر [١] .

٣٥ ـ أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان الغزّال وكان عبداً صالحاً ثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن نُصير الخُلدي إملاء ثنا أبو علي بِشْر بن موسى الأسدي ثنا أبو عبد الرحمن المقري ثنا عبد الرحمن بن زياد [٢] قال :

---

(١) حديث ابي أيوب أخرجه مطولا من طريق سفيان الامام الحميدي في مسنده برقم ٣٨٤ ، والامام أحمد ـ لكن مختصراً ـ (ج ٤ ص ١٥٣ ، وانظر ص ١٥٩) واخرجه الخطيب مختصراً أيضاً من وجه آخر عن سفيان عن ابن جريج قال سمعت شيخاً من أهل المدينة يحدث عطاء أن أبا أيوب رحل إلى مصر ... » في كتاب الأسماء المبهمة في في الأنباء المحكمة (ق ٢٤٤ ب) .

وفي سند الحديث أبو سعد المكي الأعمى مجهول لم يرو عنه إلا ابن جريج . لكن الحديث اعتضد بوروده من أوجه كثيرة جداً أخرج الخطيب ههنا جملة منها . وكلها لم تخل من المقال كما سنوضحه ، لكنها تقوي الحديث ، ويرتقي بها إلى درجه الحسن .

وانظر مزيداً من الطرق في مجمع الزوائد (ج ١ ص ١٣٤) . و « الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة » للخطيب نفسه (ق ٢٤٤ ـ أ ب) .

(٢) كذا في النسخة ب ، وفي الأصل عبد الله بن زياد ، والمثبت هو الصواب لأن الذي يروي عن مسلم بن يسار ، هو عبد الرحمن بن=

حدثني مسلم ابن يسار أن رجلاً من الأنصار ركب من المدينة إلى عقبة بن عامر وهو بمصر حتى لقيه فقال له : أنت سمعتَ[١] رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَتَرَ مؤمناً في الدنيا سترهُ الله يومَ القيامة » ؟ فقال: نعم : قال : فكبّر الأنصاري وحمد الله ثم انصرف .

٣٦ ـ أخبرنا محمد بن أحمد بن يوسف الصياد انبا أحمد ابن يوسف بن خلاد ثنا الحارث بن محمد ثنا كثير بن هشام

= زياد ، وهذا هو الافريقي قاضي إفريقية كان رجلاً صالحاً ، لكنه ضعيف في حفظه . ومسلم بن يسار من التابعين قال الذهبي : « لايبلغ حديثه درجة الصحة ، وهو في نفسه صدوق » . انتهى .

وحديث مسلم بن يسار هذا أخرجه الامام احمد باسناد آخر من طريق عبد الملك بن عمير عن منيب عن عمه قال : بلغ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه يحدث عن النبي ﷺ : « من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة ، ورحل إليه وهو بمصر فسأله عن الحديث ... إلى آخره بنحو ما رواه الخطيب هنا .

قال في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٣٤ ومنيب هذا إن كان ابن عبد الله فقد وثقه ابن حبان ، وان كان غيره فاني لم أر من ذكره . وقال الحافظ الحسيني في الاكمال (ق ٩١/أ) : منيب عن عمه مجهول

(١) في ب « سمعت من رسول الله » .

ثنا جعفر بن برقان ثنا يحيى أبو هاشم الدمشقي قال : جاء رجل من أهل المدينة إلى مصر فقال لحاجب أميرها : قل للأمير يخرج إليّ ، فقال الحاجب : ما قال لنا أحد منذ نزلنا هذا البلد غيرك ، إنما كان يقال : استأذن لنا على الأمير . قال : ايته فقل له : هذا فلان بالباب فخرج إليه الأمير ، فقال : إنما أتيتُك أسألُك عن حديث واحد فيمن ستر عورة مسلم . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر عورةَ مسلمٍ فكأنما أحيا مَوْءُودَةً »[1] .

---

(١) هذا الحديث غير متصل ، وقد أخرجه متصلًا الطبراني في الأوسط عن رجاء بن حيوة قال : سمعت مسلمة بن مخلد يقول : بينما أنا على مصر إذ أتى البواب فقال : إن اعرابياً بالباب ... الخ . قال الحافظ الهيثمي في الزوائد : وفيه أبو سنان القَسْملي وثقه ابن حبان وابن خراش في رواية وضعفه احمد والبخاري ويحيى بن معين . وانظر المغني في الضعفاء رقم ٤٨٠٠ . قلت لكن هذا لايمنع الاستشهاد به على المقصود وهو الرحلة .

وأخرجه أبو داود في الأدب (باب في الستر على المسلم) ج ٤ ص ٢٧٣ عن إبراهيم بن نشيط عن كعب بن علقمة عن أبي الهيثم عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال : « من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة » . وليس فيه ذكر الرحلة وأخرجه النسائي كذلك، ذكره المنذري . =

٣٧ ـ أخبرني أبو القاسم عبيد الله بن أحمد الصيرفي أنبا الحسين بن عمر الضراب ثنا حامد بن محمد بن شعيب البلخي ثنا شريح بن يونس ثنا هشيم:

عن سيار[١] عن جرير بن حيان أن رجلاً رحلَ إلى مصرَ في هذا الحديث، ولم يحلّ رَحْلَه حتى رجع: «من ستر على أخيه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة»[٢].

= أبو الهيثم اسمه كثير، وهو مولى عقبة، وظاهر السند أنه متصل، لكنه معلول بعلة خفية فقد رواه أبو داود من وجه آخر عند أبي الهيثم أنه سمع دخينا كاتب عقبة بن عامر.

قال المنذري في تهذيب سنن أبي داود (ج ٧ ص ٢٢٠) وقد اختلف فيه على إبراهيم بن نشيط اختلافاً كثيراً ...» فذكر أوجهاً لهذا الاختلاف.

وقد وقع في الجامع الصغير للسيوطي وشرحه للمناوي ج ٦ ص ١٤٨ - ١٤٩ عزو الحديث للطبراني والضياء المقدسي، وهو قصور لأن الحديث في السنن كما عرفت.

(١) في ب «سنان»

(٢) الحديث فيه هشيم وهو ابن بشير ثقة ثبت إمام حافظ، لكنه كثير التدليس والارسال، ولم يصرح هنا بسماعه للحديث، فلا يحتج به. وفيه أيضاً شريح بن يونس، وحامد بن محمد بن شعيب البلخي، ينظر حالهما.

٣٨ ـ أخبرنا [١] أبو بكر البرقاني أنبا محمد بن عبد الله بن خيرويه الهروي انبا الحسين بن ادريس ثنا ابن عمار [٢] ثنا معن بن عيسى أنبا مالك:

« أن رجلاً خرج إلى مسلمة بن مخلد بمصر في حديث سمعه من رسول الله ﷺ » [٣].

* * *

٣٩ ـ أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي بالبصرة ثنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا الحسن بن علي ثنا يزيد أنبا الجُرَيْري:

عن عبد الله بن بريدة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل

---

(١) في ب (حدثنا).

(٢) « ثنا ابن عمار » ليس في ب.

(٣) في سنده الحسين بن ادريس يروي البواطيل ومالا أصل له، كما يدل كلام الذهبي في الميزان. لكن ما ذكرناه من كلام في رجال هذه الأسانيد لايقدح في الاحتجاج بالحديث وثبوت الرحلة فيه لان كثرة الطرق يقوي بعضها بعضاً ويرتفع الحديث إلى رتبة الحسن كما ذكرنا.

إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر ، فقدم عليه ، فقال : أما إني لم آتك زائراً ، ولكن سمعتُ أنا وأنت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً رجوت أن يكون عندك منه علم . قال : ماهو ؟ . قال : كذا وكذا ، وساق الحديث[1] .

* * *

٤٠ ـ أخبرني أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالةَ الحافظ النيسابوري بالري أنبا عبد الله بن محمد السمذي النيسابوري ثنا عبد الله بن محمد بن مسلم الجوربذي[2] ثنا نصر بن مرزوق أبو الفتح المصري قال : سمعت عمرو[3] ابن أبي سلمة يقول :

قلت للأوزاعيّ : « أنا ألزُمكَ منذ أربعةِ أيامٍ ولم أسمعْ منك إلا ثلاثين حديثاً » ؟ .

---

(١) اسناده صحيح واخرجه الدارمي في سننه ج ١ ص ١٣٨ قال أخبرنا يزيد بن هارون إلى آخره عدا قوله « وساق الحديث » .

(٢) في ب « انبا عبد الله بن أحمد بن مسلم الجوزبذي » .

(٣) في ب « عمر »

قال : « وتستَقِل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام ؟ لقد سار جابرُ بن عبد الله[١] إلى مصر واشترى راحلةً وركبها حتى سأل عقبةَ بن عامرٍ عن حديث واحد وانصرف . وأنت تستقل ثلاثين حديثاً في أربعة أيام !! » .

* * *

(١) الذي رحل إلى عقبة بن غامر هو أبو أيوب الأنصاري كما علمت ، فهذا وهم من الرواة الذين نقل عنهم الاوزاعي ، فان بينه وبين الصحابة مفازة، ولم يسم هنا رجال سنده بذلك .

ثم وجدت الخطيب البغدادي جزم بأنه أبو أيوب في كتابه « الأسماء المبهمة في الأنبـــاء المحكمة » (ق ٢٤٤ ب) . حيث قال : « الرجل الانصاري أبو أيوب ، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف الخزرجي » .

ذكر الرواية عن التابعين والخالفين
في مثل ذلك

٤١ ـ أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن رزق البزاز ثنا أبو جعفر محمد بن عمرو ابن البختري الرزاز إملاءً ثنا جعفر بن هاشم البزاز العسكري ثنا علي بن بحر ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن مالك بن أنس [ح] وأنبا محمد بن الفرج البزاز أنبا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الرحمن قال : سمعتُ مالكاً قال :

قال سعيد بن المسيب : « إنْ كنتُ لأسيرُ الأيامَ والليالِيَ في طلبِ الحديثِ الواحد » .

٤٢ ـ أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل القطان أنبا

(٢) في ب « بمثل ذلك » .

عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان حدثني عبد العزيز ابن عبد الله الأويسي[١] ثنا مالكُ بنُ أنس أنه بلغه أن سعيد ابن المسيب قالَ : « إن كنتُ لأسيرُ في طلبِ الحديثِ الواحدِ مسيرةَ الليالي والأيام » .

قال مالك : وكان سعيد بن المسيب يختلـف إلى أبي هريرة بالشجرة وهو ذو الحليفة .

رواه خالد بن نزار عن مالك عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب. ورواه اسحاق بن محمد الفَرْوي عن مالك انه بلغه عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب .

٤٣ ـ أما رواية خالد بن نزار : فأخبرني الحسن بن أبي طالب ثنا محمد بن العباس الخزاز ثنا أبو بكر بن أبي داود ثنا أحمد بن صالح ثنا خالد بن نزار عن مالك ابن أنس عن يحيى بن سعيد :

عن سعيد بن المسيب[٢] قال : « إن كنتُ لأرحلُ

---

(١) في هامش آ « الأوسي » وفوقها نخ ط .

(٢) سعيد بن المسيب هو الامام الكبير شيخ الاسلام ، فقيه المدينة ، أحد الفقهاء الكبار أفضل علماء التابعين ، قال علي ابن المديني شيخ البخاري : « لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد ، هو عندي أجل التابعين » مات بعد سنة تسعين ، وقد جاوز الثمانين ، احتج به الجماعة .

الأيامَ والليالِيَ في طلبِ الحديث الواحد » .

٤٤ ـ وأما رواية اسحاق [بن محمد] الفرْوي : فأنبا أبو العلاء محمد بن الحسن بن محمد الوراق ثنا أبوبكر أحمد ابن كامل القاضي ثنا أبو اسماعيل الترمذي ثنا إسحاق بن محمد الفروي ثنا مالك أنه بلغه عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : « إنْ كنتُ لأسيرُ الليالِيَ في الحديثِ الواحد » .

* * *

٤٥ ـ أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا الربيع بن

= وكان سعيد آمراً بالمعروف لايخشى لومة لائم ، لايقبل جوائز السلطان ، خطبت ابنته إلى ابن الخليفة فرفض ، وزوجها لتلميذه الفقير ابن أبي وداعة على درهمين .

وحديث مالك عن سعيد منقطع لأن مالكاً لم يدركه . لكن رواية خالد بن نزار هذه متصلة . ووصله أيضاً الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ق ١٧ / أ) : « حدثنا محمد بن خالد الراسبي ثنا بندار ثنا عبد الرحمن عن مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب .. » وذكره الخطيب معلقاً في الكفاية ص ٤٠٢ واخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ج ١ ص ٩٤ على الوجهين الموصول والمنقطع .

سليمان المرادي ثنا أيوب بن سويد ثنا يحي بن زيد الباهلي من أهل البصرة وكان ثقة قال :

قال عبيد الله بن عدي بن الخيار - أَحدُ بَني نوفل بن عبد مناف - : بلغني حديث عن عليٍّ خفت إن مات ألاّ أجده عند غيره ، فرحلت حتى قدمت العراق ، فسألته عن الحديث فحدثني وأخذ عليَّ عهداً ألا أخبر به [أحداً] ولَوَدِدْتُ لو لم يفعل فأحدثكموه ، فلما كان ذات يوم جاء حتى صعد المنبر في إزار ورداء متوشحاً قرنا فجاء الأشعث بن قيس حتى أخذ بإحدى عضادَتي المنبر ثم قال علي :

« مابالُ أقوامٍ يكذبون علينا يزعمون أن عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عند غيرنا . ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاماً ولم يكن خاصاً ، وما عندي عنه ماليس عند المسلمين إلا شيءٌ في قَرْني[1] هذا ، فأخرج منه صحيفة فإذا فيها : « مَنْ أَحدَثَ حدثاً أو آوى مُحْدِثاً[2] فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يُقبَلُ منه صرفٌ ،ولا عدلٌ ».

فقال له الأشعث بن قيس : « دعها يارجل ، فإنها عليك لا لك ! » .

---

(١) القرن : هو القِراب ، كما فسرته الروايات الأخرى ، أي غمد السيف .

(٢) أي فعل جناية ، أو آوى جانياً .

فقــال : « قبحك الله ! ما يُدريك ما عليَّ لا لي ؟ ! أَضحَتْ هُزالةُ راعي الضان تهزأ بي ، ماذا يريبك مني راعيَ الضأن ؟ ! »[١] .

---

(١) الحديث فيه أيوب بن سويد الرملي ، ضعفه الامام أحمد وغيره ، وقال الحافظ ابن حجر : « صدوق يخطىء » . انظر المغني في الضعفاء والتعليق عليه برقم ٨١١ . ومثله يقبل في خبر الرحلة هذا .

لكن متن الحديث المرفوع في الصحيفة التي كانت عند علي صحيح ، صح عن علي رضي الله عنه من أكثر من وجه ، نذكر من ذلك :

عن أبي جُحيفة قال : سألت عليا رضي الله عنه : هل عندكم شيء ما ليس في القرآن ؟ وقال مرة : ليس عند الناس ؟ .

فقال : « والذي فلق الحبة وبرأ النَّسَمة ما عندنا إلا ما في القرآن ، إلا فهما يُعطَى رجلٌ في كتابه ، وما في الصحيفة » .

قلت : وما في الصحيفة ؟ .

قال : « العقل ، وفِكَاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر » .

أخرجه البخاري في مواضـع ، وهذا لفظه في الديات (الدية على العاقلة ج ٩ ص ١١) .

وعن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : خطبنا علي بن أبي طالب فقال : « من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ، ـ (قال وصحيفة معلقة في قراب سيفه) ـ فقد كذب : فيها أسنان الإبل ، وأشياء من الجراحات ، وفيها قال النبي ﷺ :

٤٦ ـ أخبرنا أبو القاسم عبيد[١] الرحمن بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد الحربي[٢] ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد المقري النقاش ثنا محمد بن خزيمة بنيسابور ثنا بشر بن هلال[٣] ثنا جعفر عن علي بن زيد :

عن أبي عثمان[٤] قال : بلغني عن أبي هريرة حديث أنه قال :

= المدينة حرم ما بين عَيْرٍ إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً ... إلى آخر الحديث ، أخرجه مسلم في الحج (فضل المدينة ج ٤ ص ١١٥ ، وأحمد برقم ٦١٥) .

وعن أبي حسان وهو الأعرج ، بنحو رواية الخطيب للمتن الذي هنا ، مع زيادة عليه أخرجه أحمد في المسند (برقم ٩٥٩) وصحح سنده العلامة أحمد شاكر . لكنه من رواية بهز بن حكيم ، وحديثه حسن انظر كتابنا « منهج النقد في علوم الحديث » ص ١٤٧ .

(١) في ب « عبد » .

(٢) في ب « الحرفي » .

(٣) في ب « يونس بن هلال » .

(٤) هو أبو عثمان النهدي التابعي الجليل الزاهد العالم من كبار التابعين، اسمه عبد الرحمن بن مُلّ ، وهو من المخضرمين ، كان عالماً ، صواماً ، =

« إنَّ اللهَ ليكتُبُ لعبدِهِ المؤمنِ بالحسنةِ الواحدةِ ألفَ ألفِ حسنةٍ » .

فَحَجَجْتُ ذلك العامَ ولم أكن أريد الحج إلا للقائه في هذا الحديث ، فأتيتُ أبا هريرة فقلت : يا أبا هريرة : بلغني عنك حديث فحَجَجْتُ العامَ ولم أكن أريد الحج إلا لألقاك » .

قال : فما هو ؟

قلت : « إنّ الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة » .

فقال أبو هريرة : « ليس هكذا قلتُ . ولم يحفظْ الذي حدثك ! » .

قال أبو عثمان : « فظَننتُ أن الحديث قد سقط » .

قال : إنما قلت : « إن الله ليعطي عبده المؤمنَ بالحسنة الواحدة ألفي ألفِ حسنة ! » ثم قال : «أو ليس في كتاب الله تعالى ذلك ؟ » .

قلت : « كيف ؟ » .

= قواماً ، متعبداً . قال سليمان التيمي : « إني لأحسبه لا يصيب ذنباً » . توفي سنة مائة ، أو بعدها بقليل .

قال : لأن الله يقول : « من ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حسناً فيضاعفَه له أضعافاً كثيرة[1] » . والكثيرة عند الله أكثر من ألفي ألف ، وألفي ألف »[2] .

* * *

٤٧ ـ أخبرنا محمد بن الحسين القطان أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنـا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح [ح] وأنبا عبد العزيز بن علي الوراق وعلي

---

(١) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة .

(٢) هذا الحديث أخرجه من طريق علي بن زيد أيضاً الامامُ أحمدُ في المسند مختصراً (رقم ٧٩٣٢) ومطولاً بمعناه (ج ٢ ص ٥٢١) . وفيه أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إن الله ليضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة » . لكن ذكر في الموضع الثاني آية : « وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً » ٤٠ من سورة النساء .

وعلي بن زيد هو ابن جدعان أخرج له مسلم في صحيحه ، لكن عنده مناكير . وقد روي الحديث من وجهين آخرين أخرجه بهما ابن أبي حاتم عن زياد الجصاص عن أبي عثمان النهدي . كما في تفسير ابن كثير (ج ١ ص ٤٩٨ وانظر ٢٩٩) . وحقق العلامة أحمد شاكر صحتها في تعليقه على المسند (ج ١٥ ص ٩٠ - ٩١) فارتفعت شبهة الوهم عن علي بن زيد ، وصح الحديث مرفوعاً إن شاء الله .

ابن المحسِّن المعدَّل قالا أخبرنا عبيد الله بن محمد بن سليمان المخرمي أنبا أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي حدثني أحمد بن خالد هو الخلاّل ثنا معن بن عيسى ثنا معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد قال :

سمعت ابن الدَّيْلَمِيّ يقول : بلغني حديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص ، فركبت إليه إلى الطائف أسألهُ عنه ، وكان ابنُ الديلمي بفلسطين قال : فدخلت عليه وهو في حديقة له ، فوجدته مُخْتَصِراً بيد رجل كنا نتحدث بالشام أن ذلك الرجلَ مِنْ شَرَبَةَ الخمر . قال فقلت له : يا أبا محمد هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في شارب الخمر شيئاً ؟ قال : فاختلج الرجل يده من يد عبد الله بن عَمرو[1] .

فقال[2] : نعم سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من شربَ الخمرَ لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعينَ صباحاً » .

---

(١) أي سحبها وذهب كما في المسند « فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق » .

(٢) القائل نعم سمعت رسول الله ﷺ إلى آخره هو عبد الله بن عمرو كما صرح به في رواية المسند .

قلت : ماحديث بلغني عنك تقوله : « إن صلاةً في بيت المقدس كألف صلاة . وإن القلم قد جف » ؟ .

فقال عبد الله : « اللهم إني لا أحل لهم أن يقولوا إلا ماسمعوا مني » . قالها ثلاثاً .

قال : ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن سليمانَ بن داودَ سأل الله ثلاثاً : سأله ملكاً لاينبغي لأحدٍ من بعدِه فأعطاه ، وسأله حكْماً يصادِفُ حكمه فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت لايريدُ إلا الصلاةَ فيه أنْ يغفرَ له » .

هذا آخر حديث أبي صالح .

وزاد مَعْنٌ وسياق الحديث له قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله خَلقَ الناسَ في ظُلْمَةٍ فأخذَ نوراً من نورِه ، فالقى عليهم ، فأصاب مَنْ شاءَ وأخطأ من شاءَ ، فقد عرف من يخطِئُه ممن يصيبُه ، فمن أصابه من نوره اهتدى ، ومن أخطأه ضل ، فلذلك أقول : إن القلم قد جف »[1] .

---

(١) الحديث اسناده صحيح . وابن الديلمي هذا هو عبد الله بن فيروز من ثقات التابعين . =

٤٨ ـ أخبرنا [محمد بن الحسين] بن الفضل أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب ثنا عبد الله بن يوسف ثنا محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم :

عن ابن الديلمي الذي كان يسكن بيت المقدس أنه ركب في طلب عبد الله بن عمرو بن العاص إلى المدينة فسأل عنه فقالوا : قد سار إلى مكة فاتبعه فوجده في زرعه الذي يسمى الوَهْط [1] . قال ابن الديلمي فدخلت عليه فقلت : « يا عبد الله ماهذا الحديث الذي بلغنا عنك ؟ » .

= وأخرجه أيضاً الامام أحمد رقم ٦٦٤٤ عن الأوزاعي حدثني ربيعة ابن يزيد عن عبد الله بن الديلمي قال : « دخلت على عبد الله بن عمرو وهو في حائط له بالطائف ... » فلم يصرح برحلته إليه ، لكنه يشير إليها إشارة . وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٣٠ - ٣١ من طرق عن الأوزاعي به أيضاً ، ثم قال : « حديث صحيح قد تداوله الأئمة ، وقد احتجا بجميع رواته ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة » . ووافقه الذهبي فقال : « على شرطها ولا علة له » انتهى .

وانظر للتوسع تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند ج ١٠ ص ١٦٧ - ١٧١ .

(١) الوهط بفتح الواو وسكون الهاء قرية زراعية صغيرة تقع قرب مكة .

قال : ماهو ؟

قلت : إنك تقول : « صلاةٌ في بيتِ المقدسِ خيرٌ من ألفِ صلاةٍ في غيرها إلا الكعبة » .

قال : اللهم إني لا أُحِلُّ لهم أنْ يقولوا عليَّ مالم أُقلْ .

إن سليمان حين فرغ من بيت المقدس قرب قرباناً فتقبل منه ، فدعا الله بدعوات، منهن : « اللهم أيما عبد مؤمن زارك في هـذا البيت تائباً إليك إنما جاء يتنصل عن خطاياه وذنوبه أن تتقبل منه وتتركه من خطاياه كيوم ولدته أمه »[(١)] .

* * *

٤٩ ـ أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن بشار النيسابوري بالبصرة ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمويَهْ العسكري ثنا جعفر بن محمد القلانسي ثنا آدم بن أبي إياس

---

(١) طريق محمد بن مهاجر الذي روى به الخطيب هذا الجزء من حديث عبد الله بن عمرو قد أخرج به الامام احمد القطعة الأولى في التحذير من شرب الخمر ، والثالثة : « إن الله خلق الناس في ظلمة ... » على المعنى رقم ٦٨٥٤ . وهو اسناد صحيح .

ثنا شعبة [ح] وأنا أبو بكر البرقاني قال : قرأت على أبي العباس بن حمدان حدثكم الحسن بن علي السُّدّي ثنا علي بن الجعد أنبا شعبة ثنا المغيرة بن النعمان قال :

سمعت سعيد بن جبير يقول : اختلف فيها أهل الكوفة : في قوله تعالى : « ومن يقتلْ مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم [خالداً فيها] » فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها ، فقال : نزلت هذه الآية « ومنْ يقْتُلْ مؤمناً متعمداً فجزاؤهُ جهنمُ » [1] في آخر مانزل ما نسخها شيء » .

واللفظ لحديث آدم [2] .

* * *

(١) الآية ٩٣ من سورة النساء ، وتمامها : « خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . وقوله « متعمداً فجزاؤه جهنم » ليس في ب .

وقول ابن عباس : « ما نسخها شيء » ذهاب منه إلى أن القاتل لا توبة له ، بل الخلود في النار لا محالة - والعياذ بالله تعالى - وهو منقول عن جماعة من الصحابة ، تغليظاً في التهديد والوعيد ، قاتل الله مثيري الفتن بين المسلمين . لكن الجمهور على أنه تقبل توبة القاتل لما ورد من النصوص في قبول التوبة النصوح من كل مذنب

(٢) الحديث متفق عليه : البخاري بنفس هذا اللفظ في تفسير سورة النساء ج ٦ ص ٤٧ ومسلم في التفسير أيضاً آخر صحيحه ج ٨ ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

٥٠ ـ أخبرنا محمد بن الحسين القطان أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا صالح ابن صالح بن حي الهَمْدَاني [١] وكان خيراً من ابنيه : عليٌّ والحسنِ وكان عليٌّ خيرهما ، يريد من الآخر ـ قال :

جاء رجل إلى الشعبي وأنا عنده فقال : يا أبا عمرو إن ناساً عندنا يقولون : إذا أعتق الرجل أمته ثم تزوجها فهو كالراكب بدنته ! قال الشعبي : حدثني أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثةٌ يُؤْتَوْنَ أجرهم مرتين : الرجلُ من أهلِ الكتاب كان مؤمناً قبل أن يُبْعَثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم [٢] فله أجران ، ورجلٌ كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها وأدّبها فأحسن تاديبَها ثم اعتقها وتزوجها فله أجران ، وعبدٌ أطاعَ الله وأدى حقَّ سيِّده فله أجران » .

---

(١) بالذال المعجمة ، في المخطوطتين واضح جداً . لكن ضبطه النووي بالميم الساكنة والدال المهملة .

(٢) يعني ثم آمن بالنبي ﷺ . كما هو مصرح في الروايات الأخرى

خذها بغير شيء فلقد كان الرجل يرحل في أدنى منها إلى المدينة »[1] .

* * *

٥١ ـ وأخبرنا محمد بن الحسين انبا عبد الله ثنا يعقوب ثنا أبو بكر ثنا سفيان قال : سمعت عطاء يحدث عن عبد الله ابن عبيد بن عمير ـ وربما قال سفيان : لا أدري ذكر فيه عن أبيه أم لا ؟ ـ [قال] :

قيل لابن عمر : « ما لنا لانراك تستلم إلا هذين الركنين ؟ »

فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ استلامَ الرُّكنَيْنِ[2] يحطُّ الخطايا كما يَتَحاتُّ ورقُ الشجر » .

---

(١) قوله : « خذها » إلى آخره ، هذا من كلام الشعبي كما صرح به الشيخان في روايتها : البخاري في العلم (باب تعليم الرجل أمته أو عبده ج ١ ص ٢٧) ، وفي الجهاد (باب فضل من أسلم من أهل الكتابين ج ٤ ص ٦٠) . ومسلم في الايمان (باب وجوب الايمان بنبينا محمد ﷺ ج ١ ص ٩٣) .

(٢) أي الحجر الأسود والركن اليماني ، واستلامها مسحها باليدين ، بلغنا الله إياهما الكرات بعد المرات .

قال سفيان : حدثني بهذا الحديث عطاء ، وأنا وهو في الطواف . قال : فكانه لم يرني أعجِبْتُ به ، فقال : أتزهد في هذا يا ابن عيينة ؟! حدثتُ به الشعبي فقال : لو رُحِلَ في هذا الحديث كذا وكذا لكان أهلا له [1] .

---

(١) الحديث صحيح الاسناد . وقد أخرجه مختصراً من طريق سفيان الامام أحمد (رقم ٤٥٨٥) ومن طريق عبد الرزاق (برقم ٥٦٢١) وأخرجه مختصر أيضاً الطيالسي (ج ١ ص ٢١٥ منْحة المعبود) وابن حبان (موارد الظمآن ص ٢٤٧) .

وانظر الترغيب والترهيب للمنذري (ج ٢ ص ١٩١) باب الترغيب في الطواف ..

وأخرجه مطولاً الامام أحمد في المسند (رقم ٤٤٦٢ ورقم ٥٧٠١) والترمذي أواخر الحج (ج ٣ ص ١٨٠) وقال : حديث حسن . والحاكم (ج ١ ص ٤٨٩) وقال : صحيح الاسناد ، ووافقه الذهبي .

وقول « كما يتحات .. » إلى آخره زيادة غريبة في الحديث تفرد بها الخطيب بهذا السند — وهو صحيح — لم نجدها عند غيره ممن ذكرنا .

وفي تصحيح الحديث إشكال ! ؛ لأنهم رووه عن عطاء بن السائب ، وعطاء قد اختلط وساء حفظه في آخر عمره ؟! .

والجواب : أن هذا لا يضر . لأنهم نصوا على أن السماع القديم منه صحيح ؛ قال الامام أحمد : « عطاء بن السائب ثقة ثقة ، رجل صالح ، ومن سمع منه قديماً كان صحيحاً ، وكان يختم كل ليلة » . =

٥٢ ـ أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق انبا عثمان بن احمد الدقاق ثنا حنبل بن اسحاق ثنا ابراهيم بن نصر ثنا أبو إسماعيل المؤدب عن سعد بن إسحاق عن أبان عن الحسن قال :

« رحلت الى كعب بن عجرة من البصرة الى الكوفة : فقلت : ما كان فداؤك حين أصابك الأذى ؟ » .

قال : « شاة »[1] .

= وهذا الحديث مما سُمِع منه قديماً ، لأنه رواه عنه سفيان ، وهو ممن سَمِع منه قديماً ، ولم يسمع منه بعد أن اختلط . فثبتت صحة الحديث ، ولله الحمد . وانظر التفصيل في كتابنا « هدي النبي ﷺ في الصلوات الخاصة » حاشية ص ١٧٠ . وانظر قاعدة ذلك في كتابنا « منهج النقد في علوم الحديث » رقم عام / ٦ / ص ١٢٣ - ١٢٦ .

(١) الحديث أخرجه أيضاً ابن مردويه من طريق سعد بن اسحاق ابن كعب بن عجرة عن أبان بن صالح عن الحسن (انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٣٢) . وهو غريب بهذا السند ، وأبو إسماعيل المؤدب صدوق يغرب ، وإبراهيم بن نصر السورياني ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١ / ١ / ١٤١-١٤٢) ، ولم يجرحه بشيء .

وللحديث سبب يوضحه ، وهو أن كعب بن عجرة خرج مع النبي ﷺ محرماً بالعمرة عام الحديبية ، فأصابه القمل في رأسه ، فآذاه ، فأذن له النبي ﷺ أن يحلق ويفتدي ، وفيه نزلت الآية : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » . =

٥٣ ـ حدثني عبد الله بن أحمد السوذرجاني ثنا أبو بكر بن المقري ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا محمد بن المنهال أخو حجاج ثنا حماد بن زيد عن أيوب :

عن أبي قِلابة[1] قال : « أقمتُ في المدينة ثلاثاً ، ما لي بها حاجة إلا قدوم رجل بلغني عنه حديث فبلغني انه يقدُم فاقمتُ

= فاختار النسك أي ذبح الشاة والتصدق بها فدية لحلق رأسه وهو محرم ، لأن الحلق من محظورات الإحرام انظر كتابنا الحج والعمرة في الفقه الاسلامي : ص ٥١ و ١٣٦ .

وأصـــل حديث كعب معروف صحيح من رواية ابن أبي ليلى وعبد الله بن معقل عن كعب ، أخرجه البخاري في الحج (باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى ج ٤ ص ٢٠) ومن طريق أبي وائل عن كعب عند النسائي (ج ٥ ص ١٥٣ ١٥٤) .

وما سوى ذلك من الطرق لا يخلو عن مقال أي قدح كما ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج ٤ ص ٩-١٠) .

(١) ابو قِلابة هو عبد الله بن زيد الجَرْمي البصري أحد الأعلام ، كان إماماً ورعاً ، طلب منه أن يتولى القضاء فتغيب وتغرب عن وطنه فراراً منه ، ثم نزل درايا قرب دمشق ، وكان عظيم القدر ، ابتلي في بدنه ومات سنة أربـع ومائة وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره وهو مع ذلك حامد شاكر ، رضي الله عنه وأرضاه ، وعافانا بمنّه وكرمه .

حتى قدم فحدثني به [1] » .

٥٤ ــ أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق ثنا محمد بن عمرو الرزاز ثنا جعفر بن هاشم ثنا علي بن بحر ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد [ح] وأنبا ابن رزق أنبا عثمان بن أحمد ثنا حنبل ثنا أبو عبد الله ثنا عبد الرحمن عن حماد عن أيوب قال :

قال أبو قلابة : « لقد أقمت بالمدينة ثلاثاً مالي حاجة إلا رجل يقدم عنده حديث فأسمعه منه » [2] .

* * *

٥٥ ــ أنبا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي وأبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي قالا : ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا العباس بن محمد الدوري ثنا محمد بن المهلب الحراني ثنا عبد الرحمن بن عمرو الحراني ثنا محمد بن الفضيل قال :

---

(١) أخرجه أيضاً الدارمي في سننه (الرحلة في طلب العلم) ج١ ص ١٣٦ . واسناده صحيح .

(٢) هذا الطريق عن عبد الرحمن بن مهدي اخرجه أيضاً الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ق ١٧ ب / ص ٢٢٣) فذكره بمثله إلا أنه قال « .. عنده حديث واحد لأسمعه منه » .

قال لي مُغيرة : سمعتُ من عُمارة بن القعقاع حديثاً ذكره عن ابراهيم ، قال : وكان عمارة قد خرج إلى مكة فا كتريت حماراً فلحقتُه با لقادسية فحدثني عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال :

« كان النبي ﷺ تمر بــه الفِتْيَةُ من قريش فلا يتغير لونه ، وتمر الفتية من أهل بيته فيتغير لونه . فقلنا : يارسول الله لانزال نرى منك ما يشق علينـا ! تمر بك الفتية من قريش فلا يتغير لونك ، وتمر بك الفتية من أهل بيتك فيتغير لونك ؟

قال : إنـ أهلي هؤلاء اختارهم الله للآخرة ولم يخترهم للدنيا ، وسيلقون بعدي تطريداً وتشريداً وبلاء شديداً [١] » .

٥٦ ـ أنباه الحسن بن أبي بكر أنبا مكرم بن أحمــد القاضي ثنــا أبو عبــد الله محمد بن إبراهيم بن زياد بن عبد الله الرازي مولى بني هاشم ثنا عبـد المؤمن بن علي ثنــا ابن فضيل قال : قال : مغيرة بن مقسم سمعت من

---

(١) الحديث ضعيف شديد الضعف ، في سنده محمــد بن المهلب الحراني . قال أبو عروبة :كان يضع الحديث المغني رقم ٦٠١٥ ، وفي اسناده الثاني الآتي بعد هذا محمد بن ابراهيم بن زياد ضعفه أبو أحمــد الحاكم ، وقال الدارقطني : « متروك » وهو الراجح ، انظر المغني برقم ٥٢٢١ .

عمارة بن القعقاع حديث ابراهيم عن علقمة عن عبد الله أن النبي ﷺ كان إذا رأى الفتية من أهل بيته تغير لونه .

قال : قال لي المغيرة : كان عمارة قد خرج إلى مكة فاكتريت حمار آفصرت إلى القادسية فلما رآني قال : ما جاء بك؟ قال: قلت : حديث ابراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي ﷺ فقال : نعم . حدثني إبراهيم عن علقمة عن عبد الله أن النبي ﷺ « كان إذا نظر إلى الفِتْيَةِ من أهلِ بيته تغيرّ لوُنه وقال : إن أهلَ بيتي هؤلاءِ اختارَ الله لهم الآخرةَ ولم يَخترْ لهمُ الدنيا وسيلقونَ بعدي تطريداً وتشريداً [1] ... » . وذكر حديثاً طويلاً .

* * *

٥٧ ـ اخبرنا ابن الفضل أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان حدثني حيوة ابن شريح ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن بُسْر بن عبيد الله الحضرمي قال : « إنْ كنتُ لأَركبُ إلى المصرِ من الأمصارِ

---

(١) في النسخة الأصل « وتشريدا ريدا » وهو تكرار لآخر الكلمة سبق به قلم الناسخ .

في الحديثِ الواحدِ لأسمعَه »[١] .

٥٨ ـ أخبرنا محمد بن أحمد بن علي الدقاق ثنا أحمد بن اسحاق النهاوندي ثنا الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد[٢] ثنا ابن بَهان[٣] وهو الحسين بن بَهان[٤] العسكري ثنا سهل بن عثمان ثنا زيد بن الحُباب العُكْلي عن جعفر بن سليمان عن أبان ابن أبي عياش قال : قال لي أبو معشر الكوفي :

« خرجتُ من الكوفة إليك إلى البصرة في حديث بلغني عنك » .

قال : « فحدثته به » .

* * *

٥٩ ـ حدثنا أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن بن عثمان

---

(١) بُسْر بن عبيد الله من طبقة التابعين ، ثقة ، حافظ ، من كبار أهل المسجد . والحديث إسناده صحيح ، إلا أن فيه الوليد بن مسلم ، وهو ثقة ثبت ، لكنه مدلس ، يدلس تدليس التسوية . وأخرجه من طريقه أيضاً الدارمي (ج ١ ص ١٣٦) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (ج ١ ص ٩٥) .

(٢) هو الامام الرامهرمزي وقد أخرج الحديث بهذا السند وهذا اللفظ في المحدث الفاصل (ق ١٧ / آ ـ ب / ص ٢٢٣) .

(٣و٤) كذا في المخطوطتين واضح جداً ، وفي تقريب التهذيب « بيان » .

التميمي بدمشق أنبا القاضي أبو بكر يوسف بن القاسم بن يوسف الميانجي ثنا أبو عبيد محمد بن أحمد الناقد ثنا أبو يحيى محمد بن سعيد العطار الضرير قال سمعت نصر بن حماد الوراق يقول : كنا قعوداً على باب شعبة[1] نتذاكر فقلت: ثنا اسرائيل عن

---

(١) هو شعبة ابن الحجاج بن الورد الحجة الحافظ شيخ الاسلام ، كان سفيان الثوري يقول : « شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث» ، وقال أبو بكر البكراوي : « ما رأيت أحداً أعبد لله من شعبة ... » قال حماد بن زيد الحافظ الامام : « إذا خالفني شعبة تبعته ، لأنه كان لايرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة ، وأنا أرضى أن أسمعه مرة » وكان شعبة عظيم العناية بالبحث عن الحديث وحال رواته حتى قال : « من طلب الحديث أفلس ، بعت طست أمي بسبعة دنانير » . توفي شعبة سنة ١٦٠ رحمه الله ورضي عنه .

ورحلة شعبة هذه في حديث عقبة بن عامر أخرجها الخطيب أيضاً في الكفاية ص ٤٠٠ - ٤٠١ ، والرامهرمزي في « المحدث الفاصل بين الراوي والواعي » ق ٣٥ ب - ٣٦، ص ٣١٣ - ٣١٥ . واحتج بها الحاكم في كتاب المستدرك ج ١ ص ٩٧ .

لكن في بعض ألفاظ رواية الخطيب هنا قلق تزيله الرواية الأخرى وإليك رواية الرامهرمزي بتمامها :

قال الامام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي : « حدثنا الحسن بن =

. . . .

= المثنى والحسين بن بهان قالا ثنا محمد بن سعيد بن غالب العطار ثنا نصر بن حماد قال: كنا بباب شعبة نتذاكر الحديث . فقلت : ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الله بن عطاء .

عن عقبة بن عامر قال : كنا في عهد رسول الله ﷺ نتناوب رعاية الابل ، فرحت ذات يوم ورسول الله ﷺ جالس وحوله أصحابه فسمعته يقول :

« من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل المسجد فصلى ركعتين واستغفر الله غفر الله له » قال : فما ملكت نفسي أن قلت بخ بخ . قال : فجذبني رجل من خلفي فالتفتُّ فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا ابن عامر ، الذي قال قبل أن تجيء أحسنُ ، قلت : ماقال فداك أبي وأمي، قال : قال : من شهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله فتحت له ثمانية أبواب من الجنة من ايها شاء دخل » . قال : فسمعني شعبة فخرج إليّ فلطمني لطمة ثم دخل . ثم خرج فقال : ماله يبكي ؟ . فقال عبد الله بن ادريس: لقد أسأت إليه ! فقال : أما تسمع ماىحدث عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر ، وأنا قلت لأبي اسحاق أسمعَ عبدُ الله بن عطاء من عقبة بن عامر ؟ . قال : لا ، وغضب ، وكان مِسْعَر بن كدام حاضراً فقال لي مسعر : أغضبت الشيخ ، فقلت : ماله ؟ ليُصحِّحنَّ لي هذا الحديث أو لأسقِطنّ حديثه ! . فقال مِسْعر : عبد الله بن عطاء بمكة ، فرحلت إليه لم أرد الحج ، إنما أردت الحديث فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته ، فقال : سعد بن إبراهيم حدثني . فقال لي مالك بن أنس : =

أبي اسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال :

كنا نتناوب رعية الإبل على عهـــد رسول الله ﷺ فجئت ذات يوم والنبي حوله أصحابه فسمعته يقول :

« مَنْ توضأً فأحسنَ الوضوءَ ثم صلى ركعتين فاستغفر الله إلا غفر له » .

= سعد بن ابراهيم بالمدينة لم يحج العام فدخلت المدينة فلقيت سعد بن إبراهيم فسألته فقال : الحديث من عندكم زياد بن مخراق حدثني . فقلت ايّ شيء هذا الحديث ! بينا هو كوفي صار مكيا ، صار مدنياً ، صار بصرياً ، فدخلت البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته فقال : ليس هذا من بابتك . قلت : بلى ، قال لاتريده ، قلت : أريده ، قال : شهر بن حوشب حدثني عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر ، قال : فلما ذكر لي شهراً قلت : دمّر عليّ هذا الحديث ، لو صح لي هذا الحديث كان أحب إليّ من أهلي ومن مالي . ومن الدنيا كلها » .

وأخرج أبو داود الطيالسي أصل الحديث مختصراً من رواية شهر بن حوشب انظر منحة المعبود : ١ : ٤٩ - ٥٠ . واستدل الامام الذهبي في الميزان بهذه القصة على وصف عبد الله بن عطاء بالتدليس وتابعه الحافظ ابن حجر فقال : « صدوق يخطىء ويدلس » لكنا لم نجد وصفه بذلك عن أحد من المتقدمين ، وهذه القصة لاتصلح دليلاً على ذلك ، انما وقع التدليس من تلميذه أبي اسحاق السبيعي ، وكان مدلساً ، وكان شعبة يتتبع تدليسه . وقد فعل ذلك هنا بما لامزيد للاجتهاد عليه .

فقلت : « بخٍ بخٍ » . فجذبني رجل من خلفي ، فالتفتُّ فإذا عمرُ بن الخطاب ، فقال : « الذي قبــل أحسن ! ».

فقلت : وما قال ؟

قال : قال :

« مَنْ شهدَ أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله قيل له : ادخل من أي أبوابِ الجنة شِئْتَ » .

قال : فخرج شعبة فلطمني ثم رجع فدخل . فتنحيت من ناحية . قال : ثم خرج فقــال : ماله يبكي بعد ؟ فقال له عبد الله بن إدريس : « إنك أسأْتَ إليه » .

فقال شعبة : « انظر ما تحدث ، إن أبا إسحاق حدثني بهذا الحديث عن عبد الله بن عطاء عن عُقْبَةَ بن عامر ، قال : فقلت لأبي اسحاقَ مَنْ عبد الله بن عطاء ، قال : فغضبَ ومِسْعَر بن كدام حاضر قال فقلت له : لتصححن لي هذا أو لأخرقن ما كتبتُ عنك » . فقال لي مسعر : « عبدالله بن عطاء بمكة » قال شعبة : « فرحلت إلى مكة لم أرد الحج أردت الحديث، فلقيت عبد الله بن عطــاء فسألته ؟ فقال : « سعد بن إبراهيم حدثني » .

فقال لي مالك بن أنس : « سعد بالمدينة لم يحج العام ».

قال شعبة : فرحلتُ إلى المدينة فلقيتُ سعدَ بن إبراهيم فسألتُه فقال : « الحديث من عندكم زيادُ بن ِمخْراق حدثني » قال شعبة : فلما ذكر زياداً قلت : أي شيء هذا الحديث ؟! بينما هو كوفي إذ صار مدنيا ، إذ صار بصرياً . قال : فرحلتُ إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق فسألته ؟ فقال : ليس هو من بابتك. قلت : حدثني به . قال : لاترده . قلت : حدثني به .

قال : حدثني شهر بن حو شب عن أبي ريحانة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال شعبة : « فلما ذكر شهر بن حوشب قلت : دمّر عليّ هذا الحديث ، لو صح لي مثل هذا عن رسول الله ﷺ كان أحبَّ إليَّ من أهلي ومالي[1] والناس أجمعين »[2] .

---

(١) في ب « من مالي وأهلي » .

(٢) إنما رحل شعبة بن الحجاج رضي الله عنه من أجل هذا السند وظل يتتبعه من بلد لآخر حتى انتهى إلى هذه النتيجة التي أفجعته ! .

لكن أصل الحديث صحيح ، صح عن عقبه بن عامر من طريق آخر أخرجه مسلم في صحيحه (باب الذكر المستحب عقب الوضوء ج ١ ص ١٤٤) . قال مسلم بن الحجاج رحمه الله : =

٦٠ ـ قال أبو يحيى: قدم علينا المثنى بن معاذ بن معاذ وسألتُه[١] عن هذا الحديث ، فقلت : هل عندكم يعني له أصل[٢] بالبصرة ؟ قال : نعم ، حدثني بشر بن المفَضَّل عن شعبة بمثل هذه

= « حدثني محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن ربيعة - يعني ابن يزيد - عن أبي إدريس الخولاني عن عقبة بن عامر (قال ربيعة) وحدثني أبو عثمان عن جبير بن نُفَير عن عقبة بن عامر قال: كانت علينا رعاية الإبل ، فجاءت نَوْبتي ، فرَوَّحتُها بعَشِيٍّ ، فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدثُ النـاسَ ، فأدركت من قوله :

« ما من مسلم يتوضأ فيُحسِنُ وُضُوءَه ، ثم يقومُ فيصلي ركعتين مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة » .

قال : فقلت : ما أجودَ هذا ! ! . فإذا قائل بين يديَّ يقول : التي قبلها أجود ، فنظرتُ فإذا عمر ، قال : إني قد رأيتك جئت آنفاً . قال :

« مامنكم من أحدٍ يتوضأ ، فيُبْلِغُ أو فيُسْبِغُ الوضوءَ ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانيةُ ، يدخل من أيها شاء » .

(١) في ب « فسألته » .

(٢) في ب « له يعني أصل » .

الصفة [١] .

* * *

٦١ ـ أخبرنا أبو نعيم الحافظ أنبا أبو بكر محمد بن جعفر بن الليث الواسطي ثنا أسلم بن سهل حدثني عبد الحميد بن بيان : قال سمعت هُشَيْماً يقول : « كنت أكونُ بأحدِ المِصْرَيْن [٢] فيبلغُني أن بالمِصر الآخر حديثاً فارحلُ فيه ، حتى أسمَعَه وأرجع » .

* * *

٦٢ـ حدثنا أبو القاسم سعيد بن محمد بن الحسن المرْوَرُّوذي من لفظه بصيدا أنبا أحمد بن علي بن الحسن بن أسحاق الكشقائي [٣] بزبيد اليمن ثنا أحمد بن الحسن بن اسحاق بن عتبة أبو العباس

---

(١) هذا إسناد آخر فيه متابعة من بشر بن المفضل لرواية نصر بن حماد رحلة شعبة . وهو إسناد صحيح .

وقد أخرج القصة من طريق بشر هذا الإمام ابن أبي حاتم الرازي بسنده في تقدمة الجرح والتعديل : ١٦٧ ، فذكرها مختصراً .

(٢) أي الكوفة والبصرة ، وبينهما مسافة تزيد على ٣٥٠ كيلو متراً .

(٣) في هامش آ (الكسائي) وفوقه خ ص و كذا ذكر نسخة في هامش ب . وفي متن ب « النسائي » .

الرازي ثنا اسماعيل بن محمود ثنا محمد بن كيسان ثنا هارون ابن المغيرة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال :

« لاتشتر مودة ألفَ رجل بعداوة رجل واحد » .

قال هارون : قدم عليّ ابنُ المبارك[1] فجاء إليّ وهو على

---

(١) هو عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي، التركي الأب الخوارزمي الأم ، الإمام الحافظ شيخ الاسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين ، ولد سنة ١١٨ ، وتوفي ١٨١ هـ . أفنى عمره في الأسفار حاجاً ومجاهداً في سبيل الله وتاجراً ، وطالب علم ، قال الامام أحمد : لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه ، وقال أبو إسحاق الفزاري : ابن المبارك إمام المسلمين . وقال أبو اسامة : ما رأيت أطلب للعلم في الآفاق من ابن المبارك . قال : هو أمير المؤمنين في الحديث . قال ابن المبارك : حملت عن أربعة آلاف شيخ فرويت عن ألف منهم . وكان إماماً في علوم عصره ، فقيهاً جليلاً سلك منهب أبي حنيفة في الفقه واشتهرت تصانيفه لدى المحدثين ، ومناقبه جمة واسعة جداً . قال الامام الذهبي : « والله إني لاحبه في الله ، وأرجو الخير بحبه ، لما منحه الله من التقوى والعبادة والاخلاص والجهاد وسعة العلم والاتقان والمواساة والفتوة والصفات الحميدة » . انتهى .

والحمد لله إنا نحبه ونرجو الخير بحبه رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

الرحل فسألني عن هـــذا الحديث فحدثته . فقال : ماوضعت رَحْلي من مرو إلا لهذا الحديث .

* * *

٦٣ ـ حدثنا [١] أبو بكر البرقاني أنبا عمر بن نوح البجلي ثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز بن حمـــاد المصري ثنا علي بن فَضالة الصُّغْدي ثنـــا أبو بكر الكلوذاني يعني محمد بن رزق الله .

وأنبا أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الأعلى الرقي أنبا أبو الحسين عبد الله بن القاسم بن سهل الصواف بالموصل ثنا عبد الله بن زياد ثنا محمد بن رزق الله الكلوذاني ـ واللفظ لحديث البرقاني ـ ثنا زيد بن الحُباب ثنا سفيان الثوري عن اسامة بن زيد عن موسى بن عُلَيٍّ اللخمي عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو :

عن عمرو أنـ النبي ﷺ قال : « فرق بينَ صيامنـا وصيامِ أهلِ الكتاب أكلةُ السحر » .

---

(١) في ب « أخبرنا » .

قال زيد بن الحُبَاب[١] : فلما ذهبتُ لأقوم من مجلس سفيان الثوري[٢] قال لي رجل : أنا خَلَّفْتُ أسامة حيا بالمدينة ، فركبتُ راحلتي وأتيت المدينة فلقيتُ أسامة فقلت : حديث حدثنيه سفيان الثوري عنك عن موسى بن عُلَيّ عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو عن عمروٍ عن النبي ﷺ قال: « فَرْقُ مابين صيامنا وصيامِ أهلِ الكتابِ أكلةُ السحر »؟.

قال : نعم ، حدثني موسى بن عُلَيّ بن رباح اللخمي عن أبيه عن أبي قيس مولى عَمروٍ عن عَمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : « فرق مابين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » .

قال زيد : فلما ذهبت لأقوم من مجلس أسامة قال رجل: أنا خلفت موسى بن عُلَيّ حيا بمصر فركبت راحلتي وأتيت مصر فجلست ببابه فخرج إليّ شيخٌ راكب على فرس .

---

(١) زيد بن الحباب أبو الحسين العُكْلي الكوفي الزاهد المحدث الجوّال الرحال ، وثقه علي بن المديني وغيره ، وقال أحمد : « كان صاحب حديث كيّسا رحالاً ، ما كان أصبره على الفقر » توفي سنة ٢٠٣ رحمه الله تعالى .

(٢) « الثوري » ليست في ب .

قال : ألك حاجة .

قال : قلت : نعم ، حديث حدثنيه سفيان الثوري عن أسامة بن زيد عنك عن أبيك عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » .

فقال : نعم ، حدثني أبي عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر[1] » .

* * *

٦٤ ـ أخبرنا محمد بن أحمد بن علي الدقاق ثنا أحمد ابن إسحاق النهاوندي ثنا الحسن بن عبد الرحمن[2] ثنا عمر بن

---

(١) حديث عمرو بن العاص اخرج متنه مسلم في الصوم (ج ٣ ص ١٣٨) بلفظ : « فصل مابين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر ». وأبو داود (توكيد السحور) ج ٢ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ، والترمذي (فضل السحور) ج ١ ص ١٣٦ والنسائي : ٤ : ١٢٠ .

(٢) هو الامام الرامهرمزي ، وانظر روايته لهذه الرحلة في كتابه المحدث الفاصل ق١٣ـ أ ،ص ٢١٤ـ٢١٥ قال محمد بن اسحاق البكائي وحدثنا قبيصة ثنا عمر بن اسحاق الشيرازي .... إلى آخره فتأمل .

اسحاق الشيرجي ثنا أبو جعفر التمار قال : سمعت الشاذكوني[١] يقـــول :

دخلت الكوفة نيفاً وعشرين دخلة أكتب الحديث ، فأتيت حفص بن غياث فكتبتُ حديثه ، فلما رجعت إلى البصرة وصرت في بُنانة[٢] لقيني ابن أبي خَدُّويه فقال : يا سليمان من أين جئت ؟

قلت : « من الكوفة » .

قال : حديثَ مَن كتبتَ ؟

---

(١) هو سليمان بن داود الشاذكوني الحافظ الشهير ، من أفراد الحافظين لكنه واه ! ، قال صالح جزرة الحافظ : ما رأيت أحفظ منه لكنه كان يكذب في الحديث ، وقال يحيى بن معين : جربت عليه الكذب . قال ابن عدي : سألت عبدان عـنه فقال : معاذ الله أن يتهم ، إنما كان قد ذهبت كتبه فكان يحدث حفظاً » أي فيغلط ، فهو على ذلك واهٍ لسوء حفظه لا لكذبه . وانظر تذكرة الحفـاظ : ٤٨٨ – ٤٨٩ . والمغني في الضعفاء رقم ٢٥٨١ .

(٢) بنانة محلة من محالّ البصرة قديماً ، اختطها بنو بنانة ، وإليها ينسب التابعي الامام الزاهد الحافظ ثابت البناني صاحب أنس رضي الله عنه . انظر معجم البلدان .

قلت : « حديثَ حفص بن غياث » .

قال : « أفكتبْتَ علمه كله ؟ »

قلت : نعم . قال : أذَهبَ عليك منه شيء ؟ قلت : « لا ».

قال : فكتبت عنه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أبي سعيد الخدري « أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحّى بكبشٍ فَحِيلٍ كان يأكلُ في سوادٍ وينظر في سوادٍ ويمشي في سواد [١] » ؟ .

قلت : لا .

قال : فأسخن الله عينيك ، أيش كنت تعمل بالكوفة ؟!

قال : «فوضعت خرجي عند النرسيين[٢] ، ورجعت إلى الكوفة فأتيت حفصاً ».

فقال : « من أين » ؟

قلت : «من البصرة ».

---

(١) فحيل : من الفحولة . ومعنى « يأكل في سواد ... إلى آخره » ان ماحول فمه اسود وكذا ماحول عينيه وان قوائمه سوداء . وهذا منظر في غاية الجمال اختاره النبي ﷺ عناية بالأضحية .

(٢) نسبة إلى نرس وهو نهر حفره نرسي بن بهرام بنواحي الكوفة متفرع من الفرات . انظر معجم البلدان .

قال : « لِمَ رجعتَ ؟ » .

قلت : « ان ابن أبي خَدُّوَيه ذاكرني عنك بكذا وكذا» .

قال : « فحدثني ورجعت ، ولم يكن لي[١] حاجة بالكوفة غيرهـــا »[٢] .

* * *

٦٥ ـ أخبرنا[٣] أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر أنبا طاهر بن محمد بن سهلويه النيسابوري ثنا أبو حامد

---

(١) قوله « لي » ليس في ب .

(٢) حديث أبي سعيد غريب بهذا السند ، لذلك رحل الشاذكوني من أجله ، وقد أخرجه الترمذي في الأضاحي من غير طريق الشاذكوني . (باب ما يستحب من الأضاحي طبع الهند ج ١ ص ١٨١) وقال : « حديث حسن صحيح غريب » . « وفي طبعة بولاق ج ١ ص ٢٨٣ حسن غريب » . لا نعرفه إلا من حديث حفص بن غياث » . وأخرجه أيضاً النسائي (ج ٧ ص ١٨٤ - ١٨٥) وابن ماجه (ص ١٠٤٦ رقم ٣١٢٨) .

والحديث مشهور عن عائشة رضي الله عنها أخرجه عنها مسلم في صحيحه (ج ٦ ص ٧٨) وأبو داود (باب ما يستحب من الضـــحايا ج ٣ ص ٩٤) .

(٣) في ب « أخبرني » ، وكذا في هامش آ وفوقه خ ص .

أحمد بن محمد الشرقي ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا مالك بن سُعَيْر بن الخِمْس التميمي ثنا الأعمش عن عبد الملك بن عُمَيْر والمسيب بن رافع عن ورّاد قال : أملى عليّ المغيرة بن شعبة كتاباً إلى معاوية وقال مرة : كتب به إلى معاوية :

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إذا قضى الصلاة : «لا إلهَ إلا الله وحدَه لاشريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ وهُو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، اللهمَّ لامانعَ لما أعطيتَ ولا معطيَ لما منعْتَ ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ[1] » .

قال طاهر : سمعت أبا حامد يقول سمعت صالحا جزرة[2] يقول : قدمت خراسان بسبب هذا الحديث حديث الأعمش عن عبد الملك بن عمير والمُسَيب بن رافع .

* * *

---

(١) متن الحديث متفق عليه : البخاري في الصلاة : (باب الذكر بعد الصلاة ، ج ١ ص ١٦٤) ، وفي مواضع أخرى ، ومسلم في الصلاة (باب استحباب الذكر بعد الصلاة ج ٢ ص ٩٥) .

(٢) الحافظ العلامة الثبت أبو علي صالح بن محمد بن عمرو الأسدي مولاهم البغدادي نزيل بخارى ولد سنة ٢٠٥ وتوفي سنة ٢٩٣ . و « جزرة » لقبه . قال الدارقطني :« كان ثقة حافظاً عارفاً » . وقال أبو سعد الادريسي :=

٦٦ ـ أنبا أحمد بن جعفر القطيعي أنبا أبو المفضل محمد بن عبد الله الكوفي ثنا عبد الله بن أبي سفيان الشعراني ثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري ثنا يحيى بن حسان ثنا عبد الرحمن ابن مهدي ثنا سفيان الثوري ثنا يحيى بن سعيد القطان ثنا سفيان بن عُيَيْنَةَ عن عمرو بن دينار :

عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « وتعزروه » . قال لنا رسول الله : «ما ذاك» ؟ .

قلنا : « الله ورسوله اعلم » .

قال : « لتنصروه » .

قال أبو محمد ابن أبي سفيان سمعت الحديث من ابراهيم

= ما أعلم بعصر صالح بالعراق ولا بخراسان في الحفظ مثله ، دخل ما وراء النهر فحدث مدة من حفظه ، وما أعلم أُخِذَ عليه خطأ فيما حدث . رأيت ابن عدي يفخم أمره ويعظمه » .

سبب تلقيبه جزرة : كما ذكر ابن الصلاح أنه سمع حديثاً عن عبد الله ابن بُسر أنه كان يرقى بخرزة ، بالخاء ، فصحفها وقرأها (جزرة) بالجيم ، فذهبت عليه . وكان رحمه الله طريفاً له نوادر . علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٠٨ . وتذكرة الحفاظ ٦٤١-٦٤٢.

ابن سعيد ببغداد ثم ذكر لي هذا الحديث بالشام وقد دخل إلى الثغر فصرت إليه إلى عين زُرْبَة[١]، وكان قد سكنها في سنة ثلاث وخمسين في رحلتي الثانية إلى الثغر فسألته عن هذا الحديث فرددني مراراً ثم حدثني به لفظاً كما قدمت من ذكره . ومات في هذه السنة .

قال أبو محمد : وليس هذا الحديث اليوم عند أحد فيما أعلم[٢] .

* * *

---

(١) او « عين زَرْبَى » كذا ضبطه في القاموس وشرحه تاج العروس على الوجهين . بلد بالثغر من نواحي المَصِّيصَة . والمصيصة مدينة على شاطيء جيحان من ثغور الشام ، بين انطاكية وبلاد الروم ، كانت من الأماكن التي يرابط بها المسلمون قديما . انظر « مراصد الاطلاع » .

(٢) الحديث غريب بهذا السند مرفوعاً . وهو معروف بروايته من غير وجه موقوفاً من كلام التابعين ، أخرجه ابن جرير عن قتادة ، وعن عكرمة بمعناه ، موقوفاً عليهما . انظر تفسير الطبري (ج ٢٦ ص ٧٤ طبع الحلبي) .

ذكر من رحل إلى شيخ يبتغي علو إسناده

فمات قبل ظفر الطالب منه ببلوغ مراده

٦٧ ـ أخبرنا محمد بن الحسين القطان أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا ابن لَهِيعَةَ عن يزيد بن أبي حبيب [١] عن أبي الخَيْر :

عن الصُّنابِحي [٢] أنه قيل له : متى هاجرت ؟ قال :

---

(١) « حبيبة » في آ وهو سبق قلم .

(٢) الصنابحي هو عبد الرحمن بن عُسَيْلَة ، ثقة من كبار التابعين ، مخضرم ، وذلك أنه كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ وهاجر إليه فلما وصل الجُحفَة لقيه الخبر بوفاة النبي ﷺ . ولم يكن بينه وبين لقيه إلا خمس ليال ! ! توفي في خلافة عبد الملك . احتج به الجماعة . انظر الاستيعاب ج ٢ ص ٤١٨ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣١٠ والاصابة ج ٣ ص ٩٧ . وقد احتجوا بخبره هذا الذي أخرجه الخطيب في الرحلة على أنه مخضرم . وانظر ذكره في المخضرمين في كتاب « تنبيه الطالب المعلم بمن قيل إنه مُخَضْرم » ص ١٥ .

مُتوَفّىٰ النبي صلى الله عليه وسلم لقيني رجل عند الجُحْفَة فقلت: الخبر يا عبد الله ؟ فقال : « اي والله لخبر طويل أو جليل : دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من أمس » .

٦٨ ـ أخبرنا عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني أنبا أبو بكر ابن المقري ثنا محمد بن الحسن بن علي بن بحر ثنا أبو جعفر عمرو بن علي ثنا عبد الله بن نمير ثنا محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله :

عن عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصُّنابِحي قال : « وفدتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقُبِضَ وأنا بالجحْفة » .

* * *

٦٩ ـ وقال ثنا عمرو بن علي قال سمعت ابن داود يقول: أنبا يحيى بن مسلم أخو[١] الضحاك .

عن زيد بن وهب[٢] قال : « رحلت إلى رسول الله ﷺ فقبض وأنا في الطريق » .

* * *

---

(١) في ب « أبو » وكذا في هامش آ وفوقه خ ص . قلت :وبه جزم الحافظ في التهذيب .

(٢) زيد بن وهب الجُهَني مخضرم ثقة جليل مات بعد الثمانين=

٧٠ ـ أخبرنا أحمد بن عبد الله بن الحسين المحاملي أنبا محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الإسكافي ثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم بن حماد القاضي قال: سمعت محمد بن كثير يقول:

قال الأوزاعي[1]: «خرجت إلى الحسن وابن سيرين فوجدت الحسن قد مات، ووجدت محمد بن سيرين مريضاً فدخلنا عليه نعوده فمكث أياماً ثم مات».

* * *

=احتج به الجماعة. وادعى ابن حزم في صفة الصلاة من المحلى أنه صحابي فقال: زيد بن وهب صاحب من الصحابة فان خالفه ابن مسعود لم يبق في واحد منها حجة»!!.

وفي هذا القول من البدع العجيب في هذه التسوية، حيث سوّى بين صاحب من الصحابة وبين إمام جليل من أئمة الصحابة، وفيه أيضاً خطأ في معرفة زيد فانه ليس من الصحابة، وقد احتج الحافظ ابن حجر في الاصابة بحديث زيد هذا الذي أخرجه الخطيب على عدم صحبته. وكذا ذكر حاصله غير ابن حجر. انظر: الاستيعاب ج ١ ص ٥٤٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤٣، والاصابة ج ١ ص ٥٦٧ و ٥٧١. وتنبيه الطالب المعلم بن قيل إنه مُخَضرم ص ١١.

(١) الأوزاعي هو الامام عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الحافظ شيخ الاسلام ولد سنة ثمان وثمانين هجرية، قال الوليد بن مزيد: «ولد ببعلبك وربي يتيماً فقيراً في حجر أمه، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه=

. . . .

=في نفسه ، مما يدل على فضل هذه الأم وأثرها الكبير في ولدها ، وقد نقلته بعد ذلك إلى بيروت . وطلب العلم ورحل في الآفاق وسمع من كبار علماء التابعين ، مثل عطاء بن أبي رباح والقاسم بن مخيمرة وربيعة ابن يزيد ، والزهري ، ومحمد بن ابراهيم التيمي ، وخلق .

حدث عنه شعبة بن الحجاج وعبـــد الله بن المبارك ويحيى القطان وخلائق .. وحديثه في الكتب الستة محتج به .

كان قائماً بالسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أراده عبد الله ابن عليّ عم السفاح العباسي على أن يقول بإباحة دماء بني أمية فأبى ، ولم يخف بطش هذا الجبار وتخويفه .

قال الوليد بن مزيد : « ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه ، ولا رأيته ضاحكاً يقهقه ، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد أقول ترى في المجلس قلب لم يبك » ؟ .

وقال اسماعيل بن عياش : سمعتهم يقولون سنة أربعين ومائة : الأوزاعي اليوم عالم الأمة . وقال الحربي « كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه » . وقال الحاكم : « الأوزاعي إمام عصره عموماً وإمام أهل الشام خصوصاً » .

كان الأوزاعي من كبار أئمة الفقه المجتهدين في عصره ، وكان مذهبه معمولاً به متبعاً . قال الخليلي : أجاب عن ثمانين ألف مسألة في الفقه من حفظه . قال الذهبي : كان أهل الشام ثم أهل الأندلس على مذهب=

. . . .

= الأوزاعي مدة من الدهر ثم فني العارفون به وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف » .

وقال السيوطي في تدريب الراوي ص ٥١٤ : « من أصحاب المذاهب المتبوعة : الأوزاعي ، وكان له مقلدون بالشام نحواً من مائتي سنة ومات ببيروت سنة سبع وخمسين ومائة » .

وقد وجدنا مرجعاً لمذهب الأوزاعي غير كتب الخلاف هو كتاب الجامع للامام الترمذي ، فانه يتعرض لذكر مذهب الأوزاعي في مرده لمذاهب العلماء في العمل بالحديث .

وكان الأوزاعي لمكانته يصلح للخلافة ، كما ذكر الذهبي . وقال أبو إسحاق الفزاري : « لو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي » . لكنه لم يتعاط السياسة ولا تطلع المناصب ، بل زهد في الدنيا على الرغم من إقبالها عليه ، وقد طلب للقضاء فامتنع . ولما مات لم يخلف إلا ستة دنانير !! .

وكان الأوزاعي صاحب حِكَمٍ ومآثر ، ومن أقاويله الجامعة :

« عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك ورأي الرجال وان زخرفوه بالقول فان الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم » . ومراده بالرأي هنا الرأي المجرد عن دليل شرعي المتبع للهوى .

وقال : « خمسة كان عليها الصحابة والتابعون : لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المساجد ، والتلاوة ، والجهاد » . =

٧١ ـ أنبا ابن الفضل أنبا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب قال : قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه ثنا عفان : ثنا حماد بن سلمة[1] قال : « قدمت مكة وعطاء بن أبي رباح حي ، قال فقلت : إذا أنا أفطرت دخلت عليه ، قال :

= وكان يحذر بشدة من الآراء الشاذة لعظيم خطرها ويقول : « من أخذ بنوادر العلماء خرج من الاسلام » .

وقال الوليد بن مزيد : سمعت الأوزاعي يقول : « كان يقال : ويل للمتفقهين لغير العبادة ، والمستحلين الحرمات بالشبهات » .

وسئل عن الخشوع في الصلاة فقال : « غض البصر ، وخفض الجناح ، ولين القلب وهو الحزن » . ومناقب هذا الامام كثيرة يمكن دراستها في مجلد كبير ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ص ١٧٨-١٨٣ ، وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٣٨ - ٢٤٢ ، وغيرهما .

(١) حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة الربعي مولاهم البصري النحوي المحدث الامام الحافظ شيخ الاسلام ، قال وهيب : حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا ، وقال أحمد بن حنبل : حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت البناني وأثبتهم في حميد . وقال عفان : « ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله منه » . وقال عبد الرحمن بن مهدي : « لو قيل لحماد ابن سلمة إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً » . وقال شهاب بن معمر : « كان حماد بن سلمة يُعَدّ في الأبدال » . =

فمات في رمضان وكان ابن أبي ليلى يدخل عليه » فقال لي عمارة بن ميمون : « الزم قيس بن سعد فإنه أفقه من عطاء » .

* * *

٧٢ ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر النرسي أنبا محمد ابن عبد الله الشافعي ثنا هيثم بن مجاهد :

ثنا عباس بن يزيد[١] قال : « مات يزيد بن زُرَيْع سنة ثنتين وثمانين » ، وقال : « خرجت إلى الكوفة مع أبي وأنا أريد أبا إسحاق الهمداني فتلقتني جنازته » .

* * *

= قال الامام الذهبي : « هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة وكان بارعاً في العربية فقيهاً فصيحاً مفوهاً صاحب سنة » .

وله مناقب كثيرة يطول شرحها توفي سنة ١٦٧ وقد قارب الثمانين رحمه الله ورضي عنه .

(١) عباس بن يزيد هو البحراني الحافظ القاضي ، أحد من جمع بين علو الرواية ومعرفة الحديث ، لقبه عباسويه ويعرف بالعبدي . قال الدراقطني : ثقة مأمون ، وعنه : تكلموا فيه ، وقال السمعاني : ثقة مأمون ، وقال ابن أبي حاتم : محله عندنا الصدق ، وضعفه مسلمة بن قاسم . وسبب تضعيفه روايته عن يزيد بن زُريع وقد اختلط ، والله أعلم . تفرد به ابن ماجه . توفي سنة ٢٥٨ .

٧٣ ـ أنبا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحرشي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا الخضر بن أبان الهاشمي بالكوفة قال : سمعت علي بن عاصم[١] يقول :

« خرجت من واسط إلى الكوفة أنـــا وهُشَيْم لنلقى منصوراً ، فلما خرجت من واسط سرت فراسخ لقيني إما أبو معاوية وإما غيره فقلت : « أين تريد ؟ » قال : « أسعى في دَين ِ عَليّ » .

قال : فقلت : « ارجع معي فإن عندي أربعة آلاف درهم أعطيك منها ألفين » .

---

(١) علي بن عاصم بن صهيب مولى قريبة بنت محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . الحافظُ مسند العراق ، ولد سنة ١٠٥ ، وسمع الكثير ورحل ، قال : دفع إليّ أبي مائة ألف درهم ، قال اذهب فلا أرى لك وجهاً إلا بمائة ألف حديث » . قال ابن شيبة : « كان من أهل الدين والصلاح والخير البارع » ، وقال يحيى بن جعفر البيكندي : « كان يجتمع عند علي بن عاصم أكثر من ثلاثين ألفاً » . ومع هذه المنزلة فقد أنكر عليه ـ كما قال ابن أبي شيبة ـ كثرة الغلط ، قال وكيع : « ما زلنا نعرفه بالخير فخذوا الصحاح من حديثه ودعوا الغلط » . توفي سنة ٢٠١ ، أخرج له أبو داود والترمذي .

فرجعت فاعطيته الفين ثم خرجت فدخل هشيم الكوفة بالغداة ودخلتها بالعشي ، فذهب هشيم فسمع من منصور أربعين حديثاً ، ودخلت أنا الحمام ، فلما أصبحت مضيتُ فأتيت باب منصور فإذا جنازة !

فقلت : « ما هذه ؟ » قالوا « جنـــازة منصور » .

فقعدت أبكي .

فقال لي شيخ هناك : « يا فتى ما يبكيك ؟ » .

قال قلت : « قدمت على أن أسمع من هذا الشيخ وقد مات » .

قال : « فأدلك على من شهد عُرْس أمِّ ذا ؟ » .

قلت : « نعم » .

قال : « اكتب : حدثني عكرمة عن ابن عباس » .

قال : فجعلت أكتب عنه شهراً ، فقلت له : « من أنت رحمك الله ؟ » .

قال : « أنت تكتب عني منذ شهر لم تعرفني ؟ أنا حصين ابن عبد الرحمن ، وما كان بيني وبين أن ألقى ابن عباس

إلا سبعة دراهم أو تسعة دراهم [١] ، فكان [٢] عكرمـة يسمع منه ثم يجيء فيحدثني » .

* * *

٧٤ ـ أخبرنا محمد بن أحمد بن رزق ومحمد بن الحسين بن الفضل قالا : أنا دعلج بن أحمد قال أنبا وفي حديث ابن رزق قال ثنا أحمد بن علي الأبار ثنا أبو عبيد الله :

عن ابن وهب [٣] قال : « دخلت المسجد فـــإذا الناس

---

(١) أي أنه كان عبداً ، وكان يكتسب كي يفك نفسه من الرق ، ليتفرغ لتحصيل العلم ، فلم يتمكن من لقاء ابن عباس لاشتغاله بذلك . وحين شارف هذا على افتكاك رقبته ، إذ بقي عليـــه دراهم معدودة ، مات ابن عباس ، حقاً إنها لحسرة .. !! .

(٢) في ب « وكان » .

(٣) ابن وهب هو عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد المصري الفقه الحافظ أحد الأئمة الأعلام ولد سنة ١٢٥ ، ثم طلب العلم ورحل، وكان ثقة حجة حافظاً مجتهداً لايقلد أحداً ذا تعبد وتزهد ، قال أحمد بن صالح : ما رأيت أحداً أكثر حديثاً منه ، حدث بمائة ألف حديث ». وقال سحنون : « كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثاً : ثلثاً في الرباط، وثلثاً يعلم الناس ، وثلثاً في الحج » قيل حج ستاً وثلاثين حجة . وكان مالك يكتب إليه : « إلى عبد الله مفتي أهل مصر » ولم يلقب غيره بذلك . =

مزدحمون على ابن سمعان وإذا هشام بن عروة جالس فقلت : اسمع من هذا وأصير إليه ، فلما فرغت قام فأتيت منزله فقالوا : هو راقد . فقلت : أحج وأرجع، فرجعت وقد مات » .

* * *

٧٥ ـ أنبا القاضي أبو الفرج محمد بن أحمد بن الحسن الشافعي أنبا أحمد بن يوسف بن خلاد العطار ثنا محمد بن يونس القرشي قال :

سمعت ابن داود وهو عبد الله بن داود الخُرَيْبي (١) يقول :

= وكان شديد الخشوع ، والخشوع هو حال السلف عامة . وقال خالد بن خداش : « قرىء على ابن وهب كتابُه في أهوال القيامة فخرّ مغشياً عليه، فلم يتكلم حتى مات بعد أيام » . ومات سنة ١٩٧ رحمه الله ورضي عنه . احتج به الجماعة .

(١) عبد الله بن داود بن عامر الخُرَيْبي الحافظ الامام القدوة أبو عبد الرحمن ، كان يسكن الخريبة ،محلة بالبصرة .

قال ابن سعد : كان ثقة عابداً ناسكا ، وقال ابن معين : « ثقة مأمون » . وروى عنه الكديمي قال : ما كذبت إلا مرة واحدة ، قال لي أبي : قرأتَ على المعلم ؟ قلت : « نعم » . ولم أكن قرأتُ . =

« كان سبب دخولي البصرة لأن القى ابن عون ، فلما صرت إلى قناطر بني دارا تلقاني نعي ابن عـــون ، فدخلني ما الله به عليم[١] » .

* * *

٧٦ ـ أخبرني أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري ثنا عمر بن أحمد الواعظ قال : قرأتُ في كتاب جدي : ثنا روح بن الفرج ثنا هارون بن سعيد :

عن خالد بن نزار قال : « خرجت سنـة خمسين ومائة بكتب ابن جُرَيج لأُواِفيَه ، فوجدته قد مات ، فقرأت كتبه على داود بن عبد الرحمن العطار وسعيد بن سالم القداح » .

* * *

٧٧ ـ أنبا ابن الفضل أنبا دعلج بن أحمد أنبا أحمد بن علي الأَبار ثنا عبد الرحيم بن حازم أبو محمد البلخي . قال :

= مات الحربي سنة ٢١٣ ، وكان قـــد قطع الرواية ، لهذا لم يسمع منه البخاري ، وسمع عنه من تلامذته . وحديثه في صحيح البخاري والسنن .

(١) أي من الأسف والحزن بسبب فوات السماع منه ، وضياع الرحلة .

سمعت مكيّ [١] وهو ابن إبراهيم [٢] يقول : « لم أطلب بعــد سنة خمسين ومائة إلا خرجت إلى الليث وابن لهيعة وموسى بن عُلَيّ ، فدخلتها يعني مصر وقد كان موسى بن عُلَيٍّ مات قبلي بثلاثة أيام » .

* * *

٧٨ ـ وأخبرنا ابن الفضل أنبا دعلج أنبا [أحمد بن علي] الأبار ثنا محمد بن علي بن حمزة قال :

---

(١) كذا في الأصلين .

(٢) مكي بن إبراهيم الحافظ شيخ خراسان أبو السكن التميمي الحنظلي ، من شيوخ الامام البخاري . كان من العباد ، قال ابن سعد : ثقة ثبت ، وقال الدار قطني : ثقة مأمون . ولد سنة ست وعشرين ومائة، وطلب الحديث وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتوفي سنة ٢١٥ حدث عن نفسه قال : « حججت ستين حجة ، وتزوجت ستين امرأة ، وجاورت عشر سنين وكتبت عن سبعة عشر من التابعين » . قلت : عُمّر تسعين سنة، وكان عالي السند ، رحل اليه المحدثون لعلو سنده ، وللبخاري أحاديث ثلاثية من طريقه . أخرج له الجماعة .

(٣) كذا في هامش آ وعليه خ ص أي نسخة صحيحة . وفي الأصلين: خمس ومائة . وهو سهو كما ترى .

سمعت علي بن الحسين ابن واقد [١] يقول : « حججْت سنة ستين ومائة فقدمتُ الكوفة فأردت اسرائيل ، فاستقبلني الناس فقالوا : مات إسرائيل! » .

* * *

٧٩ ـ أنبا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل السقا الحربي ثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ثنا محمد ابن عَمرو الباهلي بمصر قال : سمعت أبا عبد الله بن أبي مقاتل البلخي بمصر يقول :

قال أبو عُبَيْد القاسمُ بنُ سلاّم [٢] : دخلتُ البصرةَ

---

(١) قال الذهبي : « صدوق ، وثّق ، وقال أبو حاتم : ضعيف » وقال الحافظ ابن حجر : « صدوق يهم ، من العاشرة ، مات سنة إحدى عشرة » أي ومائتين ، أخرج حديثه أصحاب السنن . انظر المغني ، والتقريب . قلت : الأولى أنه صدوق ، وقد تكلم فيه لعلة الارجاء .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلاّم البغدادي الامام المجتهد البحر اللغوي الفقيه صاحب المصنفات مثل « كتاب الأموال» وغيره ، قال الامام إسحاق بن راهويه قرين الامام أحمد : « الله يحب الحق ، أبو عبيد أعلم مني وأفقه » . وقال الامام أحمد : « أبو عبيد استاذ وهو يزداد كل يوم خيراً » . وقال الذهبي في التذكرة (ص٤١٧) : « ... وكان حافظاً للحديث وعلله ،ومعرفته=

لأسمعَ من حمادِ بن زيد ، فقدمتُ فإذا هو قد مات ، فشكوت ذلك إلى عبد الرحمن بن مهدي ؟ ! فقال : « مهما سُبِقْتَ [به] فلا تُسْبَقَنَّ بتقوى الله عزّ وجل » .

* * *

٨٠ ـ أخبرنا أبو طاهر حمزة بن محمد بن طاهر الدقاق ثنا أبو العباس الوليد بن بكر الاندلسي ثنا علي بن أحمد بن الخصيب الهاشمي با طرابلس المغرب ثنا أبو مسلم صالح بن أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي حدثني [١] أبي قال :

متوسطة ، عارفاً بالفقه والاختلاف ، رأساً في اللغة إماماً في القراءات له فيها مصنف .. مات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين » .

قال نور الدين : من يقول فيه مثل ابن راهويه : « أعلم مني » لا يجوز أن يقال فيه : « معرفته متوسطة »، فقد قصّرَ به الذهبي سامحه الله .

(١) العجلي أحمد بن عبد الله بن صالح بن مسلم الامام الحافظ القدوة ، كنيته أبو الحسن ، قال عباس الدوري الحافظ : « كنا نعده مثل أحمد ويحيى بن معين » . رحل إلى المغرب وسكن فيه للتفرد والتعبد ، قيل إنه فرّ إلى هنالك أيام محنة القرآن ، ولد سنة ١٨٢ وتوفي باطرابلس سنة ٢٦١ ، له كتاب في الجرح والتعديل مفيد يدل على سعة حفظه ، عوّل عليه من جاء بعده ، وكتب الرجال حافلة بالأخذ عنه .

« أبو داود الطيالسي ثقة ، وكان كثير الحفظ. رحلتُ إليـــه فاصبته [قد] مات قبل قدومي بايام .

* * *

٨١ ـ أخبرنا الحسن بن أبي بكر أنبا أحمد بن محمد ابن عبد الله القطان ثنا عبد الكريم بن الهيثم ثنا أحمـد بن محمد بن القاسم بن أبي بزة ثنـا أبو العباس الوليد بن عبد العزيز بن عبد الملك بن عبد العزيز ابن جُرَيْج قال حدثتني أمي[١] عن جدي عبد الملك عن عطاء بن أبي رباح :

عن أبي الدرداء قـال : سمعت رسول الله ﷺ من فَلْقِ فيه إلى أذني هذه ـ ورآني أمشي بين يدي أبي بكر وعمر ـ فقال : يا أبا الدرداء أتمشي بين يدى من هو خير منك ؟».

فقلت : « ومن هو يارسول الله ؟ ».

فقال : « أبو بكر وعمر . ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين خير من أبي بكر[٢] » .

---

(١) في هامش ب « أبي » وفوقه خ ص .

(٢) الحديث سنده ضعيف ، فيه ، وفيه ابن جريج وهو ثقة حافظ =

. . . . : . . . . . .

= لكنه مدلس ، وقد روى هنا بصيغة « عن » فيكون حديثه ضعيفاً في حكم المنقطع كما هو مقرر في أصول هذا الفن . (انظر منهج النقد رقم ٥٦ ص ٣٢٨ ورقم ٦٦ ص ٣٥٨) .

وأخرجه أبو نعيم في الحلية (ج ١٠ ص ٣٠١ - ٣٠٢) من طريقين عن إسماعيل بن يحيى التيمي عن ابن جريج ، عن عطاء عن جابر قال رأى النبي ﷺ أبا الدرداء يمشي قدام أبي بكر إلى آخر الحديث بنحوه ، لكن ليس فيه ذكر عمر .

وفي سنده من كلا الطريقين إسماعيل بن يحيى التيمي ، ذكره الحافظ ابن عراق في تنزيه الشريعة في القائمة التي جمع فيها اسماء الوضاعين (ج ١ ص ٤٠) وقال الازدي : ركن من أركان الكذب ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه بواطيل . وانظر الميزان واللسان ، فلا يصلح مقوياً لاسناد الخطيب .

لكن معنى الحديث ورد في حديث آخر أخرجه الترمذي في المناقب (ج ٥ ص ٦١٠) عن أنس قال قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « هذان سيدا كُهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين » . قال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه » .

وأخرج البخاري في صحيحه في المناقب (ج ٥ ص ٤) عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخيّر أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم » . (معنى نخيّر : نفاضل فنفضل) . =

قال [١] : فحدثت الحميدي [٢] فقال لي : « اذهب بنـا

وأخرج البخاري أيضاً (ج ٥ ص ٧) عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبي (وهو علي رضي الله عنه) : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : « أبو بكر » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمر .... » .

(١) « قال » ليس في ب .

(٢) هو أبو بكر الحميدي الامام العلَمَ : عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي المكي الحافظ الفقيه ، من كبار أئمة الدين .

قال الحاكم : مفتي أهل مكة ومحدثهم ، قال أبو حاتم : « أثبت الناس في سفيان بن عيينة الحميدي » . وقال يعقوب بن سفيان : « ما رأيت أنصح للاسلام وأهله من الحميدي » . وقال البخاري : « الحميدي إمام في الحديث » .

وكفى الحميدي شرفا أنه كان رفيقاً للامام الشافعي في سماع الحديث عن ابن عيينة ، وشيخاً للبخاري في الفقه ، وقد تخرج به البخاري في الفقه . قال الحافظ ابن حجر في مطلع الفتح : « جزَم كل من ترجم البخاري بأن الحميدي من شيوخه في الفقه والحديث » .

وكان الحميدي شديد التشبث بموقفه ، فلا يملك نفسه عند الغضب ، ويصعب أن يقبل المعذرة ، وكان شديداً على فقهاء العراق بما لا ينسجم مع إمامته ، وما كان عليه أمثاله من السلف الصالح رضي الله عنه وعنهم .

توفي الحميدي بمكة سنة تسع عشرة ومائتين . وله عدة كتب ، =

إليه حتى اسمعه منه » . فقلت له : « منزله بالثقبة » ، والثقبة على رأس[١] ثلاثة أميال من مكة .

فلما كان ذات يوم دفنا رجلاً من قريش باكراً ثم قال لي الحميدي : « هل لك بنا في الرجل ؟ » قلت : « نعم » ، فخرجنا نريده . فلما كنا بقصر داود بن عيسى لقينا ابن عم له فقال : « يا أبا بكر أين تريد ؟ » قال : « أردنا أبا العباس» فقال : « يرحم الله أبا العباس مات أمس » .

فقال الحميدي : « هذه حَسْرة . ثم قال : أنا أسمعه منك » . فدخلنا على سعيد بن منصور وهو يحدث فلما افترق الناس دنا منه[٢] فقال لي : « حدث أبا عثمان حديث الجريجي » فحدثته .

أشهرها « المسند » المعروف ، طبع في الهند بتحقيق المحدث المحقق الجليل الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي فسح الله في مدته .

انظر ترجمة الحميدي في تذكرة الحفاظ ص ٤١٣ - ٤١٤ ، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ١٤٠ - ١٤١ ، وتقديم مسند الحميدي للشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .

(١) قوله « رأس » ليس في ب .

(٢) « مني » خ ص هامش آ .

فقال سعيد : « قطع هذا كل علة » .

فقلت للحميدي : « ما قطع كل علة ؟ » .

فقال [لي] : « إن أناساً يزعمون أن علياً من رسول الله وأنه لايقاس به أحد من الناس ، فلما أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، علمنا أن علياً ليس بنبي ولا مرسل ، فقطع كل علة » .

آخر الكتاب ، وصلى الله على محمد وآله وسلم[١] .

* * *

---

(١) قال محققه نور الدين عتر تجاوز الله عنه : هذا آخر كتاب « الرحلة في طلب الحديث » للامام الحافظ احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى ، وبه ينتهي تعليقنا على هذا الكتاب القيم الفريد . يليه « استدراك الزيادات على كتاب الرحلة » جمعنا فيه اخباراً في الرحلة للحديث الواحد لم يذكرها الحافظ الخطيب في كتاب الرحلة .



استدراك الزيادات على كتاب الرحلة
مما لم يذكره الحافظ الخطيب

رحلة الصحابة الى النبي ﷺ :

لم يخرج الامام أبو بكر الخطيب شيئاً من هذا النوع ، وهو كثير جداً ، لأن كثيراً من الصحابة كان يقصد النبي ﷺ يرحل إليه ، ليتشرف بلقائه ، ويحمل عنه وصية ، أو خطبة ، أو حديثاً ، وكثير منهم رحلوا لسؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن مسألة أشكلت عليهم .

وإليك طرفاً من ذلك :

٨٢ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : نُهينا أن نسألَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ، فكان يعجبنا أن يجيء الرجلُ من أهل الباديةِ العاقلُ فيسألَه ونحن نسمع ،

فجاء رجل من أهل البادية فقال : يا محمدُ ، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ .

قال : صدق . قال : فمن خلق السماءَ ؟ قال : اللهُ . قال : فمن خلق الأرضَ ؟ قال : الله . قال : فمن نصبَ هذه الجبالَ وجعل فيها ما جعل ؟ . قال : الله .

قال : فبِالذي خلَقَ السماء ، وخلق الأرضَ ونصبَ هذه الجبال آلله أرسلك ؟ . قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا خمسَ صَلَواتٍ في يومنا وليلتنا ؟ قال : صدق . قال : فبِالذي أرسلك آللهُ أمركَ بهذا ؟ . قال : نعم .

قال : وزعمَ رسوُلك أنّ علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : صدق . قال : فبِالذي أرسلك آللهُ أمرك بهذا ؟ . قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا صومَ شهرِ رمضانَ في سنتنا ؟ . قال : صدقَ . قال : فبِالذي أرسلك آللهُ أمركَ بهذا ؟ قال : نعم .

قال : وزعم رسولك أن علينا حجَّ البيتِ مَن استطاعَ

إليه سبيلاً ؟ . قال : صدق .

قال : ثم ولّى ، قال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن .

فقال النبي ﷺ : « لئن صدق لَيَدْخُلَنّ الجنـــة » .

متفق عليه [١]

٨٣ ـ وللبخاري عن أنس قـال : بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخـــل رجل على جمل ، فأناخه في المسجد ثم عقله ، ثم قال لهم : أَيُّكُم محمدٌ ؟ والنبي ﷺ متكيءٌ بين ظهرانيهم ، فقلنا : هذا الرجلُ الأبيضُ المتكيء . فقال له الرجلُ : ابنَ عبد المطلب ! ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: قد أجبتك . فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني سائلُكَ فمشدد عليك في المسالة فلا تَجِدْ [٢] عليّ في نفسك . فقال : سَلْ عما بدَالك .

فقال : أسألك بربك وربِّ مَنْ قبلك آللهُ أرسلك إلى الناس كُلِّهم ؟ فقال : اللهم نعم .

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم في أول صحيحه ص ٣٢ . ويأتيك لفظ البخاري .

(٢) أي لاتغضب .

قال : أنشُدُكَ بالله آلله أمرَك أن نصليَ الصلواتِ الخمسَ في اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم .

قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم نعم .

فقال الرجل : « آمنتُ بما جئتَ به ، وأنا رسول مَنْ ورائي من قومي ، وأنا ضِمامُ بن ثَعْلَبة أخو بني سعد بن بكر »[1] .

٨٤ ـ قال ابن عباس رضي الله عنهما : فما سمعنا بوافد قوم يقول أفضل من ضمام » .

أخرجه أحمد والطبراني في حديث طويل[2]

* * *

٨٥ ـ عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال :

---

(١) البخاري في كتاب العلم (باب ما جاء في العلم) ج ١ ص ١٩ .

(٢) انظر مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٨٩ .

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائرُ الرأس ، يُسْمَع دَوِيُّ صوتِه ولا يُفْقَهُ ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الاسلام ؟

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « خمسُ صلواتٍ في اليوم والليلة » . فقال : « هل عليَّ غيرُها ؟ » قال : « لا ، إلاّ أنْ تَطَوَّع » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وصيام رمضان » قال : « هل عليَّ غيرُه ؟ : » قال : « لا ، إلاّ أن تَطَوَّع » .

قال : وذكر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الزكاةَ .

قال : « هل عليَّ غيرُها ؟ » قال : « لا ، إلا أن تطوع » .

قال : فأدبر الرُجل وهو يقول : « والله لا أزيد على هذا ولا أنقص » .

قال رسول الله ﷺ : « أفلح إن صدق » .

متفق عليه (١)

وهذا الرجل غير ضِمام بن ثَعْلَبَة ، لأن ضماماً سعدي بكري ذو عقيصتين أي ضفيرتين كما في المسند والمعجم الكبير للطبراني ، وهذا نجدي ثائر الرأس ، فهما مختلفان موطناً وهيئة .

* * *

(١) البخاري في الايمان (باب الزكاة من الاسلام) ج ١ ص ١٤ مسلم ج ١ ص ٣١ - ٣٢ .

٨٦ ـ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال : « مَن ِ القومُ أو مَن ِ الوفد ؟» قالوا : ربيعةُ . قال : « مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى » .

فقالوا : يارسولَ الله إنا لا نستطيع أن نأتيكَ إلا في شهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحيُّ من كفار مُضَر ، فمُرْنا بامر ٍ فَصْل ٍ نُخبر به مَنْ وراءَنا ، وندخلُ به الجنةَ ، وسالوه عن الأشربة ، فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع :

أمرهم بالإيمان با لله وحدَه ، قال :« أتدرون ما الإيمان بالله وحده » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : « شهادةُ أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسولُ الله ، وإقــامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاةِ ، وصيامُ رمضان ، وأن تُعْطُوا من المغنم الخُمُس » ، ونهاهم عن أربع : عن الحَنْتَم ، والدَباء ، والنَّقِير ، والمُزَفَّت ، وربما قال المُقَيَّر . و قال : « احفظوُهن وأخبروا بهنّ مَنْ وراءكم » .

متفق عليه [1]

(١) البخاري أواخر الايمان (باب أداء الخمس من الايمـان ج ١ ص ١٦) ، ومسلم في الايمان (باب الأمر في الايمان بالله ورسوله وشرائع الدين ج ١ ص ٣٥) .

وهذه المنهيات أوعية ينبذ فيها المسكر فنهاهم عما ينبذ فيها.

الحنتم: الجرة الخضراء ، والدُّبّاء: القرع اليابس يتخذ منه إناء للخمر ، والنقير : جذع ينقر وسطه . والمقيرَّ ما طُليَ بالقار كالمزفت المطلي بالزفت .

* * *

٨٧ ـ عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما انهما قالا : إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ ، فقال: « يارسولَ الله : أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله » .

فقال الخصم الآخر وهو أفقه منــه : « نعم فاقض بيننا بكتاب الله وائذن لي » .

فقال رسول الله ﷺ : « قل » .

قال : « ان ابني كان عَسيفاً على هذا ، فزنى بامرأته ، وإني أُخْبِرتُ أنّ على ابني الرجمَ ، فافتديتُ منه بمائة شاة ووليدة ، فسألتُ أهلَ العلم ، فاخبروني أنمّا على ابني جلدُ مائةٍ وتغريبُ عام ، وأن على امرأةِ هذا الرجمَ ؟ » .

فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لأقْضِيَنَّ بينكما

بكتاب الله : الوليدةُ والغنمُ ردٌّ ، وعلى ابنكِ جلدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ ، واغْدُ يا أُنَيْسُ إلى امرأةِ هذا فان اعترفت فارْجُمْها » .

قال : « فغدا عليها فاعترَفتْ ، فامر بها رسول الله ﷺ فَرُجِمَت » . متفق عليه[1]

الأعرابي : هو ساكن البادية . وقد رحل مع صاحبه إلى النبي ﷺ ، لسؤاله عن هذه الواقعة ليس له حاجة غيرها .

عسيفا على هذا : أي أجيراً عند هذا .

الوليدة والغنم رد : أي الجارية المملوكة والغنم ترد إليك .

* * *

٨٨ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ جاءه أعرابي ، فقال : « يارسول الله ، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ؟ ! »

فقال : « هل لك من إبلٍ ؟ » قال : « نعم » .

قال : « ما ألوانُها ؟ » . قال : « حُمْرٌ » .

---

(١) البخاري في الحدود (باب إذا أمر غير الامام باقامة الحد) ج ٨ ص ١٧١ ومواضع أخر . ومسلم في الحدود ج ٥ ص ١٢١ واللفظ رواية مسلم .

قال : « فيها مِنْ أورَق ؟ » . قال : « نعم » .
قال : « فأنّى ذلك ؟ » . قال : « أُراه عِرقٌ نزَعه » .
قال : « فلعل ابنك هذا نَزَعه عِرْقٌ » .

متفق عليه[1]

الأَورق : الأَسمر

نزعه عرق : جذبه الشبه إلى بعض أجداده بعامل الوراثة .

* * *

ومن آثار الصحابة في الرحلة :

٨٩ـ قول أبي الدرداء : « لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها عليّ إلا رجل بِبِرْك الغِماد لرحلتُ إليه »[2] .

* * *

من رحلات التابعين ومن بعدهم :

وفيها جاء هذا الحديث :

٩٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم ، فلا يجدون

---

(١) البخاري : في الحدود (باب ما جاء في التعريض) ج ٨ ص ١٧٣ وغيره ، ومسلم في اللعان ج ٤ ص ٢١١ .
(٢) ذكره في معجم البلدان ج ١ ص ٥٩٠ .

أحداً أعلم من عالم المدينة » •

أخرجه الترمذي و حسنه

وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي [١]

* * *

٩١ ــ عن عامر بن شراحيل الشعبي الامام التابعي أنه خرج إلى مكة في ثلاثة أحاديث ذكرت له ، فقال : « لعلي ألقى رجلاً لقي النبي ﷺ أو من أصحاب النبي ﷺ » .

أخرجه الرامهرمزي [٢]

* * *

٩٢ ــ عن علي بن المديني قال : قيل للشعبي : « من أين لك هذا العلم كله ؟ » .

قال : « بنفي الاعتماد ، والسير في البلاد ، وصبر كصبر

---

(١) الترمذي أواخر العلم ج ٤ ص ٤٧ ، وأحمد في المسند ج ٢ ص ٢٩٩ . والمستدرك ج ١ ص ٩١ وانظر كتابنا منهج النقد في علوم الحديث ص ٢٣٢ .

(٢) المحدث الفاصل ق ١٧ آ .

الجماد ، وبكور كبكور الغراب » .

تذكرة الحفاظ [١]

* * *

٩٣ ـ عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه قيل له : « أيرحل الرجل في طلب العلو ؟ » .

فقال : « بلى والله شديداً ، لقد كان علقمةُ والأسودُ يبلغهما الحديثُ عن عمرَ رضي الله عنه ، فلا يقنعهما حتى يخرُجا إلى عمرَ فيسمعانه منه » .

علوم الحديث [٢]

هذان الامامان الجليلان من أئمة التابعين يخرجان من العراق إلى المدينة مسيرة شهر لكي يسمعا من عمر حديثاً بلغهما عنه .

* * *

٩٤ ـ عن الشعبي قال : « ما علمت أن أحداً من الناس

---

(١) ص ٨١ .

(٢) للامام ابن الصلاح ص ٢٢٣ ، وثبت في سائر النسخ بلفظ « فيسمعانه » هكذا . وانظر ما سبق في التقديم ص ٢١و٣٢ لزاماً .

كان أطلبَ لعلم في أفق من الآفاق من مسروق » .

أخرجه الرامهرمزي وابن عبد البر [١]

٩٥ ـ وعن سفيان عن رجل «أن مسروقاً رحل في حرف ، وأن أبا سعيد رحل في حرف » .

أخرجه ابن عبد البر [٢]

* * *

٩٦ ـ مكحول الدمشقي الامام قال :

« كنت عبداً بمصر لامرأة من بني هُذَيْل فأعتقتني فما خرجت من مصر وبها علمٌ إلا حويتُ عليه فيما أرى ، ثم أتيتُ الحجازَ فما خرجتُ منها وبها علم إلا حويتُ عليه فيما أرى ، ثم أتيتُ العراق فما خرجتُ منها وبها علمٌ إلا حويتُ عليه فيما أرى ، ثم أتيتُ الشام فغرْبَلْتُها ، كل ذلك أسألُ عن النَّفَل [٣] فلم أجد أحداً يخبرني فيه بشيء حتى أتيت شيخاً يقال له زياد بن جارية التميمي فقلت له : هل سمعت في النفَل شيئاً ؟

---

(١) المحدث الفاصل ق ١٧ آ ، وجامع بيان العلم ج ١ ص ٩٤ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله نفس الصفحة .

(٣) النَّفَل هو الزيادة على الحق المفروض للجندي ، يجعله له القائد تشجيعاً على القتال ، أو يدفعه له مكافأة على عمل أجداه .

قال : نعم : سمعت حبيب بن مسلمة الفِهْريَّ يقول : شهدت النبي ﷺ نفّل الربـع في البَدْأة والثلث في الرَّجعَةِ » .

أخرجه أبو داود وابن ماجه [١]

٩٧ ـ وعن ابن اسحاق قال : سمعت مكحولاً يقول : « طُفْتُ الأَرض في طلب العلم » .

ذكره الذهبي في التذكرة [٢]

* * *

٩٨ ـ أرْبِدَة [٣] التميمي التابعي راوي التفسير عن ابن عباس ، قال العجلي : « تابعي كوفي ثقة» ، وذكره ابن حبان في الثقات . وقال الحافظ ابن حجر في التقريب : « صدوق » .

روى عنه أبو إسحاق السبيعي الامام الحافظ أنه قال :

---

(١) أبو داود بلفظه في الجهاد (باب فيمن قال : الخمس قبل النفل) ج ٣ ص ٨٠ وابن ماجه ولم يذكر قصة الرحلة ص ٩٥١-٩٥٢ وسكت عليه أبو داود والمنذري في تهذيب السنن ج ٤ ص ٥٧-٥٨ وما سكت عليه أبو داود فهو صالح كما هو معروف في علم الحديث .

(٢) ص ١٠٨ .

(٣) بسكون الراء بعدها موحدة مكسورة ، ويقال : أربد .

« ما سمعت بأرض فيها علم إلا أتيتُها » .

أخرجه أحمد في العلل [١]

* * *

٩٩ ـ الامام الحافظ العلم عليّ بن المديني شيخ الامام البخاري : قال :

« حججت حجة وليس لي همة إلا أن أسمع ... » .

أخرجه الترمذي [٢]

١٠٠ ـ الامام الحافظ عبد الرحمن بن الامام الكبير أبي حاتم محمد بن ادريس قال :

سمعتُ أبي رحمه الله يقول :

« قلت على باب أبي الوليد الطيالسي : من أغْرَبَ عليّ حديثاً غريباً مسنداً صحيحاً لم أسمعْه فله عليّ درهمٌ يتصدقُ به » . « وقد حضر على باب أبي الوليد خَلْقٌ . مِنَ الخَلْقِ : أبو زُرْعة فمن دونه ، وإنما كان مرادي أن يُلْقَى عليّ ما لم أسمع

---

(١) بسنده إلى أبي إسحاق ج ١ ص ١٤ .

(٢) ج ١ ص ١٩٦ كذا عزاه الدكتور صبحي الصالح في كتابه علوم الحديث ومصطلحه ص ٥١ فلينظر .

به ، فيقولون : هو عند فلان . فأذهب فأسمع . وكان مرادي أن أسمع منهم ماليس عندي ، فما تهيّأ لأحد منهم أن يُغرِبَ عليّ حديثاً » .

تقدمة الجرح والتعديل [١]

* * *

١٠١ ـ عن المؤمل بن إسماعيل إنه ذُكر عنده الحديث الذي يُروى عن أبيٍّ عن النبي ﷺ في فضل القرآن [٢] ، فقال : لقد حدثني رجل ثقة سماه ، قال : أتيت المدائن فلقيت الرجل الذي يروي هذا الحديث ، فقلت له حدثني فإني أريد أن آتي البصرة .

فقال : هـذا الرجل الذي سمعنا منه هو بواسط في أصحاب القصب .

---

(١) ص ٣٥٤ طبع الهند .

(٢) هو حديث طويل يُروى عن أُبَيّ بن كعب في فضل القرآن سورة سورة : من قرأ سورة كذا فله كذا ... وهو حديث موضوع نبه عليه العلماء قال ابن المبارك : « أظن الزنادقة وضعته » انظر اللآلىء المصنوعة ج ١ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة ج ١ ص ٢٨٥ ، والاتقان للسيوطي ج ٢ ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

قال : فاتيت واسطاً فلقيت الشيـخ ، فقلت : إني كنت بالمدائن فدلني عليك الشيـخ وإني أريد أن آتي البصرة .

قال: ان هذا الذي سمعت منه هو بالكلاء .

فأتيت البصرة فلقيت الشيـخ بالكلاء ، فقلت له حدثني فإني أريد أن آتي عبادان .

فقال : « إن الشيـخ الذي سمعناه منه هو بعبادان » .

فأتيت عبادان فلقيت الشيـخ ، فقلت له : « اتق الله ما حال هذا الحديث ؟ أتيت المدائن ـ فقصصت عليه ـ ثم واسطاً ، ثم البصرة ، فَدُلِلْتُ عليك ، وما ظننت إلا أن هؤلاء كلهم قد ماتوا ، فأخبرني بقصة هذا الحديث » .

فقال : « إنا اجتمعنا هنا فرأينا الناس قد رغبوا عن القرآن ، وزهدوا فيه ، وأخذوا في هذه الأحاديث ، فقعدنا فوضعنا لهم هذه الفضائل حتى يرغبوا فيه » .

أخرجه الخطيب في الكفاية [١] وابن الجوزي [٢]

* * *

---

(١) « الكفاية في علم الرواية » ص ٤٠١ .

(٢) في كتابه « الموضوعات » باسناده أيضاً إلى المؤمل ، انظر اللآلي المصنوعة وتنزيه الشريعة نفس المكان . =

١٠٢ ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن حمدان النيسابوري الزاهد العابد المجاب الدعوة صاحب الكتاب الجليل « المستخرج على صحيح مسلم » .

قال أبو عمرو بن الصلاح : « رحل في حديث واحد منه إلى أبي يعلى الموصلي ، ورحل في أحاديث معدودة منه لم يكن سمعها حتى سمعها .

وروينا أنه سمعه منه الشيخ القدوة أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الزاهد الحيري ، فكان إذا بلغ منه موضعاً فيه سنة لم يستعملها وقف عندها إلى أن يستعملها » .

شرح مسلم لابن الصلاح [1]

* * *

١٠٣ ـ الفضل بن غانم الخزاعي قاضي الري للرشيد . وكان ممن لم يجب المعتزلة ومن وافقهم من الحكام إلى القول بخلق القرآن .

= وقد استشهدوا بهذه القصة على أن الحديث موضوع . فينبغي الحذر والتنبه ، فقد أودعه بعض المفسرين في تفاسيرهم ، يذكرون منه آخر كل سورة ما يناسبها . منهم الواحدي ، والزمخشري ، والبيضاوي ، والنسفي ، والظاهر أنهم ما عرفوه موضوعاً .

(١) ق ٥ ب . من القطعة المصورة للمخطوطة المحفوظة في استانبول .

روى إبراهيم بن محمد المخرمي حدثنا الفضل بن غانم حدثنا مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في اليوم مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أمان من الفقر ... الحديث[1]».

قال الفضل بن غانم:

«لو رُحِلَ في هذا الحديث إلى خراسان لكان قليلاً».

اللسان[2]

* * *

١٠٤ ـ المسيب بن واضح السُّلَمي التَّلْمَنَّسي[3].

قال الحسين بن عبد الله القطان: سمعت المسيب بن واضح يقول: «خرجت من قرية تلمنَّس أريد مصر إلى ابن لَهيعة فأُخْبِرْتُ بموته».

الميزان واللسان[4]

* * *

---

(١) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٥٧.

(٢) لسان الميزان ج ٤ ص ٤٤٦. والحديث ضعيف، لضعف حفظ الفضل بن غانم، وقال الدار قطني كما في اللسان: «كل من رواه عن مالك ضعيف».

(٣) التلمنسي: نسبة إلى تل منس حصن قرب معرة النعمان بالشام، وقرية من قرى حمص، وإليها ينسب المسيب بن واضح. انظر معجم البلدان.

(٤) الميزان ج ٤ ص ١١٦ واللسان: ج ٦ ص ٤٠.

طرائف من رحلات المحدّثين

نقدم إليك أخباراً لطيفة من طرائف رحلات المحدثين رضي الله عنهم وأجزل مثوبتهم ، نختارها من بين ماوقعنا عليه [1] لمناسبة موضوع هذا الكتاب :

١٠٥ — الهيثم بن جميل البغدادي أبو سهل الحافظ نزيل انطاكية .

ثقة صاحب سنة يغلط على الثقات . قال سفيان بن محمد المصيصي: «شهدت الهيثم بن جميل وهو يموت وقد سُجّي نحو القبلة ، فقامت جاريته تغمز رجليه (أي لترى صحوه) فقال : اغمزيها فالله يعلم أنه ما مشتا إلى حرام قط » .

رحل وتجول في طلب الحديث ، وتحمل الكثير ، قال ابن سعد : سمعت موسى بن داود يقول :

« أفلس الهيثم بن جميل في طلب الحديث مرتين » .

---

(١) وثمة أخبار كثيرة في جهاد العلماء وتحملهم المشقات التي لاتطاق في سبيل العلم وطلبه ونشره اشتمل على منتخبات منها كتاب « صفحات من صبر العلماء » . لفضيلة الاستاذ العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة فليرجع إليـــه .

توفى سنة ٢١٣ . رحمه الله تعالى [١] .

* * *

١٠٦ – يعقوب بن سفيان بن جوّان الفسوي [٢] المحدث الحافظ .

كان ممن جمع وصنف مع الورع والنسك والصلابة في التمسك بالسنة ، قال الحاكم : « فأما سماعه ورحلته وأفراد حديثه فأكثر من أن يمكن ذكرها » .

وقال أبو عبد الرحمن النهاوندي سمعت يعقوب بن سفيان يقول : « كتبت عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات » .

وقال يعقوب أيضاً : « قمت في الرحلة ثلاثين سنة » . وقال أبو زرعة الدمشقي : « قدم علينا رجلان من نبلاء الناس أحدهما وأرحلهما يعقوب ابن سفيان ، يعجز أهل العراق أن يروا مثله »

مات سنة سبع وسبعين ومائتين .

قال عبدان بن محمد المروزي : « رأيت يعقوب بن سفيان في النوم فقلت : ما فعل الله تعالى بك ؟ قال : « غفر لي وأمرني أن أحدث في السماء كما كنت أحدث في الأرض » .

ومن عنايات الله بهذا الامام في طلبه للحديث هذا الحدث الذي أخبر به عن نفسه نسوقه عبرة لطلاب العلم :

قال محمد بن يزيد العطار سمعت يعقوب بن سفيان يقول : « كنت في رحلتي فقلّتْ نفقتي ، فكنت أُدمِنُ الكتابة ليلا ، وأقرأ نهاراً ، فلما كان ذات ليلة كنت جالساً أنسخ في السراج ، وكان شتاء ، فنزل

---

(١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٩٠ – ٩١ .

(٢) نسبة إلى بلدة فسا من بلاد فارس .

الماء في عيني فلم أبصر شيئاً ، فبكيت على نفسي لانقطاعي عن بلدي وعلى ما فاتني من العلم ، فغلبتني عيناي فنمتُ فرأيت النبي ﷺ في النوم ، فناداني : « يا يعقوبُ لم أنتَ بكيتَ ؟ » فقلت : يا رسول الله ذهب بصري فتحسرتُ على ما فاتني . فقال لي : « أدْنُ مني » ، فدنوتُ منه فأمرّ يده على عَيْنَيّ كأنه يقرأ عليهما ، ثم استيقظتُ فأبصرتُ ، فأخذت نسخي وقعدتُ أكتبُ »[١] .

* * *

١٠٧ - يحيى بن مَعين بن عون المري الغَطَفاني مولاهم ، أبو زكريا البغدادي :

إمام الجرح والتعديل ، وأحد من انتهى إليه علم الحديث في عصره ، قال : كتبت بيدي ألف ألف حديث ، قال الامام أحمد : « كان ابن معين أعلمنا بالرجال » ، وقال أبو سعيد الحداد : « الناس كلهم عيال على يحيى ابن معين » .

وذكر ابن عدي أن والد يحيى خلف له ثروة ضخمة ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم ، فأنفق ذلك كله على الحديث[٢] ، لما توسع في طلبه ورحلاته من أجله .

ومن لطائف اخبار رحلاته ، هذه الرحلة التي سافر فيها مع صديقه الامام أحمد بن حنبل من العراق إلى اليمن للسماع من الامام عبد الرزاق ابن همام الصنعاني حافظ اليمن ، وفي العودة أراد أن يدخل الكوفة ليختبر الحافظ أبا نعيم الفضل بن دكين ويعرف حفظه وتيقظه ونباهته ، وكان يرافقهما

---

(١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٨٥ ـ ٣٨٧ .

(٢) ملخصا عن التهذيب ج ١١ ص ٢٨٠ وما بعد .

في هذه الرحلة أحمد بن منصور الرمادي الثقة ، وهذا نصه يروي قصة هذا الاختبار [١] .

قال أحمد بن منصور الرمادي : « خرجتُ مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق أخدمهما ، فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى لأحمد : أريد أختبر أبا نعيم . فقال له أحمد : لا تزيد الرجل إلا ثقة .

فقال يحيى : « لا بد لي » ، فأخذ ورقة و كتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبي نعيم ، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ، ثم جاءوا إلى أبي نعيم ، فخرج فجلس على دكان ، فأخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة ثم قرأ الحادي عشر ، فقال أبو نعيم : ليس من حديثي ، اضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثاني ، وأبو نعيم ساكت ، فقرأ الحديث الثاني ، فقال : ليس من حديثي اضرب عليه ، ثم قرأ العشر الثالث وقرأ الحديث الثالث ، فانقلبت عيناه ، وأقبل على يحيى فقال : أما هذا - وذراع أحمد في يده - فأورعُ من أن يعمل هذا ، وأما هذا يريدني فأقل من أن يعمل هذا ، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ، ثم أخرج رجله فَرفَسَه ، فرمى به وقام فدخل داره .

فقال أحمد ليحيي : ألم أقل لك إنه ثَبْتٌ .

* * *

قال : « والله لرَفسَتُه أحبُّ إليَّ من سَفْرَتي !! » .

١٠٨ - روى عبد الرحمن بن أبي حاتم [٢] قال سمعت أبي يقول : « بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر ، وكان في

(١) كما ساقه الحافظ ابن حجر في التهذيب ج ٨ ص ٢٧٤ .
(٢) تقدمة الجرح والتعديل ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

نفسي أن أقيم سنة ! فانقطع نفقتي ، فجعلت أبيع ثياب بدني شيئاً بعد شيء ، حتى بقيتُ بلا نفقة ، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة ، وأسمع منهم إلى المساء ، فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيتِ خالٍ ، فجعلت أشرب الماء من الجوع ، ثم أصبحت من الغد وغدا عليّ رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد ، فانصرف عني وانصرفت جائعاً .

فلما كان من الغد غدا عليّ . فقال : « مُرّ بنا إلى المشايخ » .

قلت : « أنا ضعيف لا يمكنني » قال : « ماضعفك ؟ » .

قلت : « لا أكتمك أمري ، قد مضى يومان ماطعمت فيهما شيئاً » .

فقال : « قد بقي معي دينار ، فأنا أواسيك بنصفه ، ونجعل النصف الآخر في الكراء » .

فخرجنا من البصرة . وقبضت منه النصف دينار .

* * *

١٠٩ ــ الحافظ الامام الجوال الفضل بن محمد بن المسيب البيهقي ، الشعراني المتوفي سنة ٢٨٢ هـ ، كان أديباً فقيها ، عابداً ، عارفاً بالرجال .

قال ابن المؤمل :

« كنا نقول : ما بقي بلد لم يدخله الفضل الشعراني في طلب الحديث إلا الأندلس » . **تذكرة الحفاظ**[1]

* * *

(١) ص ٦٢٧ .

١١٠ ـ الحافظ البارع الجوال الزاهد القدوة محمد بن المسيب بن اسحاق الأرغياني ، المتوفي سنة ٣١٥ ﻫ .

قال الإمام أبو عبد الله الحاكم : « كان من العباد المجتهدين ، سمعت غير واحد من مشايخنا يذكرون عنه أنه قال : « ما أعلم منبراً من منابر الاسلام بقي عليّ لم أدخله لسماع الحديث ، وسمعت أبا اسحاق المزكي يقول سمعت محمد بن المسيب يقول : « كنت أمشي في مصر ، وفي كمي مائة جزء ، في كل جزء ألف حديث ». وسمعت أبا علي الحافظ يقول : « كان محمد بن المسيب يمشي بمصر وفي كمه مائة الف حديث ، كان دقيق الخط ، وصار هذا كالمشهور من شأنه » .

تذكرة الحفاظ [1]

* * *

١١١ ـ محدث أصبهان الامام الرحال الحافظ الثقة أبو بكر محمد بن ابراهيم بن علي الاصبهاني الخازن المشهور بابن المقرىء المتوفي سنة ٣٨١ ﻫ .

سمع مالا يحصى كثره . قال أبو طاهر أحمد بن محمود : سمعت ابن المقرىء يقول : « طفت الشرق والغرب أربع مرات » .

وعن ابن المقرىء قال : « مشيت بسبب نسخة [2] مفضل بن فضالة سبعين مرحلة ، ولو عرضت على خباز برغيف لم يقبلها » .

---

(١) ص ٧٨٩ ـ ٧٩٠ ، وحمله هذه الاجزاء لكي يديم النظر والمطالعة في الحديث . والجزء الحديثي يقع عادة في كراس .

(٢) النسخة احاديث تروى بسند واحد ، والمرحلة مسيرة يوم تقريباً .

وقال أبو طاهر بن سلمة : « سمعت ابن المقرئ يقـول : دخلت بيت المقدس عشر مرات .. » .

تذكرة الحفاظ (١)

* * *

١١٢ – المحدث الحافظ محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده الأصبهاني الرحالة ، كان من أئمة هذا الشأن وثقاتهم ، ولد سنة عشر وثلاثمائة ، وسمع سنة ثماني عشرة وبعدها ، ورحل سنة ثلاثين إلى نيسابور فأدرك أبا حامد بن بلال وكتب عن الأصم نحواً من ألف جزء ، ثم رحل إلى بغـداد فلقي ابن البختري والصفار ، ولقي بدمشق خيثمة بن سلـيمان وطبقته ، ولقي بمكة أبا سعيد بن الأعرابي ، وبمصر أبا الطاهر المديني وببخارى ومرو وبلخ جماعة ، وطوّف الأقاليم ، وكتب بيده عدة أحمـال ، وبقي في الرحلة نحوا من أربعين سنة ، ثم عاد إلى وطنه شيخاً ، فتزوج ، ورزق الاولاد ، ويقال إنه لما رجع إلى بلده أصبهان قدمها ومعه أربعون حملاً من الكتب والأجزاء ، قال ابن منده رحمه الله : « كتبت عن ألف شيخ وسبعمائة شيخ » . وكان من دعاة السنة وحفاظ الأثر ، حدث بالكثير ، حتى توفي سنة ٣٩٥ ، قال الباطرقاني : « إمام الأئمة في الحديث » رحمه الله .

تذكرة الحفاظ (٢)

* * *

١١٣ – الحافظ العالم المكثر الجوال أبو الفضل محمد بن طاهر بن

---

(١) ص ٩٧٣ – ٩٧٤ .

(٢) ص ١٠٣٢ وانظر ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٧٩ .

علي المقدسي ، المتوفي سنة ٥٠٧ ما كان على وجه الأرض له نظير ، قال السِلَفي سمعت ابن طاهر يقول : « كتبتُ الصحيحين وسنن أبي داود سبع مرات بالأجرة ..».

وقال أبو مسعود عبد الرحيم الحاجي سمعت ابن طاهر يقول « بُلْتُ الدم في طلب الحديث مرتين : مرة ببغداد ، ومرة بمكة ، كنت أمشي حافياً في الحر فلحقني ذلك ، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث ، وكنت أحمل كتبي على ظهري » . تذكرة الحفاظ[١]

* * *

١١٤ ــ الحافظ الامام عَلَمُ السنة عبيد الله بن سعيد بن حاتم أبو نصر السجزي المتوفي سنة ٤٤٤ هـ . من أحفظ أهل زمانه للحديث ، طوّف الآفاق في طلب الحديث .

قال الحافظ أبو اسحاق الحبال : « كنت يوماً عند أبي نصر السجزي فَدُقّ البابُ ، فقمت ففتحته ، فدخلت امرأة وأخرجت كيساً فيه ألف دينار ، فوضعته بين يدي الشيخ وقالت : « أنفقها كما ترى » .

قال : « ما المقصود ؟ ».

قالت : « تتزوجني ، ولا حاجة لي في الزوج ، ولكن لأخدمك » !

فأمرها بأخذ الكيس وأن تنصرف ، فلما انصرفَتْ قال : « خرجتُ من سجستان بنية طلب العلم ، ومتى تزوجت سقط عني هذا الاسم ، وما أوثر

(١) ص ١٢٤٢ ــ ١٢٤٣ .

على ثواب طلب العلم شيئاً ».

تذكرة الحفاظ [١]

* * *

١١٥ – الإمام الكبير الجِهْبِذ أبو حاتم محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلي الرازي امام المحدثين في الحديث وفي الجرح والتعديل ومعرفة العلل والرجال ، المتوفى سنة ٢٧٧ هـ . رحلته من أطرف رحلات المحدثين .

روى ابنه عبد الرحمن عنه في كتابه « تقدمة الجرح والتعديل » قال :

سمعت أبي يقول : « أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ [٢] ، لم أزل أحصي حتى زاد على ألف فرسخ تركته [٣] ، أما ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فما لا أحصي كم مرة ، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة ، وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا ، إلى مصر ماشياً ، ومن مصر إلى الرملة ماشياً ، ومن الرملة إلى بيت المقدس ، ومن الرملة إلى عسقلان ، ومن الرملة إلى طبرية ، ومن طبرية إلى دمشق ، ومن دمشق إلى حمص ، ومن حمص إلى انطاكية ، ومن انطاكية إلى طرسوس ، ثم رجعت من طرسوس إلى حمص ، وكان بقي عليّ شيء من حديث أبي اليمان فسمعت ، ثم خرجت من حمص إلى بيسان ، ومن بيسان إلى الرقة ، ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد ، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط

---

(١) ص ١١١٨ – ١١١٩ .

(٢) الفرسخ يعادل خمسة كيلو مترات أو أكثر.

(٣) أي ترك الاحصاء بعد الألف لكثرة المشي !! وهذا الذي ذكره هنا كله كان في رحلة واحدة . وله أكثر من رحلة رضي الله تعالى عنه .

إلى النيل ، ومن النيل إلى الكوفة ، كل ذلك ماشياً ، كل هذا في سفري الأول ، وانا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين ، خرجت من الري سنة ثلاث عشرة ومائتين ... في شهر رمضان ، ورجعت سنة احدى وعشرين ومائتين ... » .

تقدمة الجرح والتعديل [١]

١١٦ – وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمعت أبي يقول : « كنا في البحر ، فاحتلمتُ ، فأصبحت وأخبرت أصحابي به ، فقالوا لي : اغمس نفسك في البحر . قلت : إني لا أحسن أن أسبح فقالوا : إنا نشد فيك حبلا ونعلقك من الماء » .

« فشدوا فيّ حبلًا وأرسلوني في الماء وأنا في الهواء أريد إسباغ الوضوء، فلما توضأت قلت لهم : أرسلوني قليلًا ، فأرسلوني ، فغمست نفسي في الماء قلت : ارفعوني ، فرفعوني » .

تقدمة الجرح والتعديل [٢]

* * *

١١٧ – وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمعت أبي يقول :

« لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار [٣] وركبنا البحر ، وكنا ثلاثة أنفس : أبو زهير المروروذي شيخ ، وآخر

---

(١) ص ٣٥٩ – ٣٦٠ .

(٢) ص ٣٦٤ .

(٣) وهو مرفأ السفن .

نيسابوري . فركبنا البحر وكانت الريح في وجوهنا ، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر ، وضاقت صدورنا ، وفني ما كان معنا من الزاد ، وبقيت بقية ، فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أياماً على البر حتى فني ما كان معنا من الزاد والماء ، فمشينا يوماً وليلة لم يأكل أحد منا شيئاً ولا شربنا ، واليوم الثاني كمثله ، واليوم الثالث . كل يوم نمشي إلى الليل ، فاذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا ، وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء ، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا ، فسقط الشيخ مغشياً عليه ، فجئنا نحركه وهو لايعقل ، فتركناه ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو فرسخين ، فضعفتُ وسقطتُ مغشياً عليّ ، ومضى صاحبي وتركني ، فلم يزل هو يمشي إذ بَصُر من بعيد قوماً قد قربوا سفينتهم من البر ، ونزلوا على بئر موسى ﷺ ، فلما عاينهم لوّح بثوبه إليهم ، فجاءوه معهم الماء في إداوة ، فسقوه وأخذوا بيده .

فقال لهم : الحقوا رفيقين لي قد ألقوا بأنفسهم مغشياً عليهم ، فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ، ففتحت عيني فقلت : اسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئاً يسيراً ، فشربت ورجعت إليّ نفسي ، ولم يَرْوني ذلك القدر ، فقلت : اسقني فسقاني شيئاً يسيراً ، وأخذ بيدي ، فقلت : ورائي شيخ مُلقى ، قال : قد ذهب إلى ذاك جماعة ، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي ، ويسقيني شيئاً بعد شيء ، حتى إذا بلغتُ إلى عند سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ ، وأحسنوا إلينا أهل السفينة ، فبقينا أياماً حتى رجعت إلينا أنفسنا .

ثم كتبوا لنا كتاباً إلى مدينة يقال لها « راية » إلى واليهم ، وزودونا من الكعك والسويق والماء فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء والسويق والكعك ، فجعلنا نمشي جياعاً عطاشاً على شط البحر ، حتى وقعنا إلى سلحفاة قد رمى به البحر مثل الترس فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهر السلحفاة فانفلق ظهره ، وإذا فيها مثل صفرة البيض، فأخذنا من بعض الأصداف الملقى على شط البحر فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر فنتحسّاه ، حتى سكن عنا الجوع والعطش .

ثم مررنا وتحملنا حتى دخلنا مدينة الراية ، وأوصلنا الكتاب إلى عاملهم، فأنزلنا في داره وأحسن إلينا ، وكان يقدم إلينا كل يوم القرع ، ويقول لخادمه : هاتي لهم باليقطين المبارك ، فيقدم إلينا من ذاك اليقطين مع الخبز أياماً .

فقال واحد منا بالفارسية : لاتدعوا باللحم المشؤوم ؟ وجعل يُسمِع الرجلَ صاحب الدار .

فقال : أنا أحسن بالفارسية ، فإن جدتي كانت هروية ، فأتانا بعد ذلك باللحم .

ثم خرجنا من هناك ، وزودنا إلى أن بلغنا مصر » .

تقدمة الجرح والتعديل [١]

* * *

---

(١) ص ٣٦٤ ـ ٣٦٦ .

وفي الختام نقدم هذه النصوص الثلاثة لأعلام من كبار الأئمة عبرة وذكرى لأولى الألباب فيما بذله أجدادهم ، وما أثمره جهادهم العلمي الخالص لله تعالى من بنيان علمي ديني وحضاري ، ولنهيب بشبابنا أن تابعوا الخطى واسلكوا سبيل الائتساء بهؤلاء الاسلاف الكرام ، في النهوض بعلوم الاسلام وبث الوعي في المسلمين على أساس من هداية كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم :

١١٨ ـ النص الأول للامام ابن الجوزي :

وهو الامام الكبير المحدث الحافظ المفسر الصوفي عالم العراق وواعظ الآفاق : عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المشهور بابن الجوزي ، صاحب التصانيف السائرة في فنون العلم ، ومجموعها مائتان ونيف وخمسون كتاباً ، مابين رسالة صغيرة ، وكتاب ضخم مثل « زاد المسير في علم التفسير » وكان يحضر مجالس وعظه الملوك والوزراء .

قال سبطه : سمعت جدي يقول على المنبر : « كتبت باصبعي ألفي مجلد ، وتاب على يدي مائة ألف ، وأسلم على يدي عشرون ألفاً ».

وكان رحمه الله تعالى حريصاً على وقته لايضيع منه شيئاً ، حتى كان إذا جاءه الزوار شغل نفسه مع الحديث إليهم بأعمال بسيطة آلية ، مثل تقطيع الورق ليعده للكتابة ، وبري الأقلام ، ونحو ذلك . وقد فسح الله في عمره بالخير الكثير والأمد الطويل ، وتوفي سنة ٥٩٧ رحمه الله ورضي عنه [١] .

---

(١) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ص ١٣٤٢ – ١٣٤٧ ، وفي غيرها من المراجع .

وهذا النص من كتابه الطريف النافع « صيد الخاطر[١] » قال فيه مايلي :

«تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم فرأيت أكثر الخلق تبين خسارتهم حينئذ ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب ، ومنهم من فرط في اكتساب العلم ، ومنهم مَنْ أكثر من الاستمتاع باللذات .

فكلهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت ، أو قوى ضعُفَت ، أو فضيلة فاتت ، فيُمضِي زمان الكبر في حسرات. فإن كانت للشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت قال : وا أسفاه على ماجنيتُ ، وإن لم يكن له إفاقة صار متأسفاً على فوات ما كان يلتذ به .

فأما من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس ويلتذ بتصنيف ماجمع ، ولايرى مايفقد من لذات البدن شيئاً بالاضافة إلى ماناله من لذات العلم .

هذا مع وجود لذّاته في الطلب الذي كان تأمّل به إدراك المطلوب وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها ، كما قال الشاعر :

أهتز عند تمني وصلها طرباً ورب أمنية أحلى من الظفر

ولقد تأملت نفسي بالاضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا ، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم ، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي ندمتُ عليه . ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم ، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم . وما نلتُه من معرفة العلم لا يقاوم .

---

(١) ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

فقال لي ابليس : ونسيت تعبك وسهرك .

فقلت له : أيها الجاهل تقطيع الأيدي لاوقع له [١] عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدت إلى صديق :

جزى الله المسير إليه خيراً وإن ترك المطايا [٢] كالمزاد [٣]

ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ماهو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو [٤] . كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث واقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها الا عند الماء. فكلما أكلت لقمة شربت عليها ، وعين همتي لاترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه ، وأحوال أصحابه وتابعيهم فصرت في معرفة طريقه كابن أجود » .

* * *

١١٩ – النص الثاني للحاكم أبي عبد الله النيسابوري :

وهو الامام الجليل الحافظ الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري ، المعروف بابن البيِّع .

---

(١) أي لا ألم له .

(٢) المطايا : جمع مطية : الدابة التي تركب .

(٣) المزاد : أي المزادة وهي القربة من الجلد (إذا كانت خالية من الماء) .

(٤) أي أطلبه من العلم وأرجوه من تحصيل الثواب ونفع الناس بالدعوة إلى الله .

ولد سنة ٣٢١ هـ، وطلب العلم من الصغر ورحل في الآفاق وسمع من شيوخ لايحصون كثرة، زهاء ألفي شيخ، وتوفي سنة ٤٠٥.

وكان الحاكم أبو عبد الله إماماً جليلاً حافظاً عارفاً ثقة، واسع العلم، اتفق الناس على إمامته وجلالته وعظمة قدره، ورُحِل إليه من البلاد لسعة علمه ودرايته، واتفق العلماء على أنه من أعلم الأئمة الذين حفظ الله بهم هذا الدين. وكان الحاكم من أبرز الأعلام الذي شيدوا بنيان التدوين في علوم الحديث، بتصنيف الكتب القيمة، خصوصاً كتابه «معرفة علوم الحديث»[1].

قال الشيخ طاهر الجزائري[2]: «فيه فوائد مهمة رائعة ينبغي لمطالعي هذا الفن الوقوف عليها». وقال ابن خلدون: «ومن فحول علمائه - يعني علوم الحديث - وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم وتآليفه فيه مشهورة، وهو الذي هذبه وأظهر محاسنه»[3].

وهذا النص من مطلع كتابه القيم «معرفة علوم الحديث» قال فيه مايلي في وصف المحدثين:

«... قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين، بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أجمعين، قوم آثروا قطع المفاوز والقفاز، على التنعم في الدمن والأوطار، وتنعموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة أهل العلم والأخبار، وقنعوا عند

---

(١) انظر مزيداً من بيان أثر الحاكم في علوم الحديث في دراستنا لا وار هذا العلم التاريخية في «كتابنا منهج النقد في علوم الحديث» ص ٥٨.

(٢) في كتابه توجيه النظر ص ١٦٣.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧١.

جمع الأحاديث والآثار ، بوجود الكِسَر والأطمار ، قد رفضوا الإلحادَ الذي تتوق إليه النفوس الشهوانية ، وتوابعَ ذلك من البدع والأهواء ، والمقاييس والآراء والزيغ ، جعلوا المساجد بيوتهم وأساطينها تُكاهم وبواريها فرشهم .

حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة ثنا محمد بن الحسين بن أبي الحنين ثنا عمر بن حفص بن غياث قال سمعت أبي وقيل له : ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه ؟ قال : هم خير أهل الدنيا . وحدثني أبو بكر محمد بن جعفر [المزكي] ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق قال سمعت علي بن خشرم يقول سمعت أبا بكر بن عياش يقول : إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس ، يقيم أحدهم ببابي وقد كتب عني ، فلو شاء أن يرجع ويقول حدثني أبو بكر جميع حديثه فعل إلا أنهم لا يكذبون .

قال أبو عبد الله : ولقد صدقا جميعاً، إن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم وجعلوا غذاءهم الكتابة ، وسَمَرهُم المعارضة ، واسترواحهم المذاكرة ، وخلوقهم المداد ، ونومهم السهاد ، واصطلاءهم الضياء ، وتوسدهم الحصى ، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس ؛ فعقولهم بلذاذة السنة غامرة ، قلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة ، تعلُّمُ السنن سرورُهُم ، ومجالسُ العلم حبورُهُم ، وأهل السنة قاطبة إخوانهم ، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم »[1] .

* * *

(١) معرفة علوم الحديث ص ٢ — ٣ .

١٢٠ ـ النص الثالث والأخير للامام الخطيب البغدادي صاحب كتاب الرحلة نفسه ، من كتابه القيم « شرف أصحاب الحديث » . قال رحمه الله وأجزل مثوبته :

« وقد جعل الله تعالى أهله ـ يعني أهل الحديث ـ أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله من خليقته والواسطة بين النبي ﷺ وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع اليه ، أو تستحسن رأياً تعكف عليه ، سوى أصحاب الحديث ، فان الكتاب عدتهم والسنة حجتهم والرسول فئتهم ، وإليه نسبتهم ، لا يعوجون على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء ، يُقبل منهم ما رووا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه والعدول ، حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته . إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به فهو المقبول المسموع ، ومنهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد في قبيلة ، ومخصوص بفضيلة ، وقارىء متقن وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم وسبيلهم السبيل المستقيم ، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر وعلى الافصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر ، من كادهم قصمه الله ، ومن عاندهم خذله الله ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا يفلح من اعتزلهم . المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير ، وإن الله على نصرهم لقدير .

أخبرنا أبو بكر ... عن معاوية بن قُرَّة عن أبيه عن النبي ﷺ قال :

« لا يزال ناس من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة »[١] .

قال علي بن المديني في حديث النبي ﷺ « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » : هم أهل الحديث والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ويذبّون عن العلم ، لولاهم لم تجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية شيئاً من السنن .

(قال أبو بكر) وقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين : فشأنهم حفظ الآثار ، وقطع المفاوز والقفار ، وركوب البراري والبحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى لا يُعَرّجُونَ عنه إلى رأي ولا هوىً ، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً ، وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً ، حتى ثبّتوا بذلك أصلها وكانوا أحق بها وأهلها وكم من ملحدٍ يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها . فهم الحفاظ لأركانها ، والقوامون بأمرها وشأنها . إذا صُدِفَ عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون ، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »[٢] .

* * *

رحم الله أئمة هذا الدين ، وعلماءه المحدثين ، لقد كانوا في الأمم معجزة العلم والتاريخ ، جعلهم الله تعالى وسيلة لانجاز وعده « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإنا نذكّر القارىء ـ في هذا الختام ـ أن استيعاب رحلات المحدثين وأخبارها لايمكن إلا في مجلدات كثيرة ، لأنهم مافيهم رجل لم يرحل في

---

(١) الحديث متفق عليه : البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ج٩ ص ١٠١ ومسلم في الإيمان ج ١ ص ٩٥ كلاهما بنحوه .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٨ — ١١ .

طلب الحديث والعلم ، ولا يعتبر محدثاً قط من لم يلق الشيوخ ويأخذ عنهم ، مهما عنعن ودندن ، إنما هو واحد من جملة الورّاقين .

وان ما أورده الحافظ الخطيب في الرحلة للحديث الواحد ، ثم ما استدركناه عليه ليس كل ماورد في ذلك ، بل هناك الكثير من أخبار هذا النوع من الرحلة – فيما نرى – حسب القارىء منه هذا القدر ، ليثير العبرة والذكرى والاعتزاز بهذا التراث العظيم ، وليحفز الهمم للاجتهاد في طلب العلم ، والرحلة إلى لقاء العلماء لزيارتهم أو الافادة من علمهم ، أو تلقن شمائلهم وهَدْيهم ، والسعي لاحياء حضارة هذه الأمة الاسلامية .

* * *

وهذا آخر ما تيسر تعليقه على كتاب « الرحلة في طلب الحديث » للخطيب البغدادي رحمه الله وأجزل مثوبته ، وقع الفراغ منه يوم السبت خامس رمضان المبارك من شهور سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من هجرة خير البرية ﷺ يوافقه الحادي والعشرون من ايلول لسنة أربع وسبعين وتسعمائة والف .

وفقنا الله لاتباع كتابه وسنة رسوله ، ورفع لوائهما ، وألهمنا محبة أئمة هذا الدين وعلماءه الفاضلين ومعرفة فضلهم ، وجزاهم عنا وعن العلم والدين خير الجزاء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وكتب المفتقر الى عناية مولاه

نور الدين عتر

الفهارس



١ – الآيات القرآنية

٢ - الاحاديث النبوية*

---

* من الأول إلى ص ٦٧ صفحات تقديمنا لكتاب الرحلة . ومن ص ٧٠ إلى ١٨٥ صفحات كتاب «الرحلة في طلب الحديث» . ومن ص ١٨٥ إلى الآخر «الاستدراك على كتاب الرحلة». وميزنا بالحرف (ت) ما كان في التعليق على كتاب الرحلة نفسه .

* * *

٣ - الاعلام المترجمة *

* من الأول إلى ص ٦٧ صفحات تقديمنا لكتاب الرحلة . ومن ص ٧٠ إلى ١٨٥ صفحات كتاب « الرحلة في طلب الحديث » . ومن ص ١٨٥ إلى الآخر « الاستدراك على كتاب الرحلة » . وميزنا بالحرف (ت) ما كان في تعليقنا على كتاب الرحلة نفسه .

★ ★ ★

٤ - أعلام الراحلين *

* مع ذكر الرقم المسلسل الذي وقع فيه كل عَلَمٍ من أعلام كتاب الرحلة ، والاستدراك عليه .

٥ ـ المصادر الخطية

الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد ، للحافظ محمد بن علي الحسيني ، (دار الكتب الوقفية بحلب) .

الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة ، للخطيب البغدادي (دار الكتب الظاهرية بدمشق) .

الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (نسختان خطيتان في دار الكتب الظاهرية اعتمدناهما في تحقيق الكتاب : الاولى في مجموع رقم ٧٥ . والثانية في مجموع رقم ١٠١) .

شرح صحيح مسلم للامام أبي عمرو بن الصلاح . (مصورة عن القطعة الخطية المحفوظة منه في استانبول) .

الضعفاء للحافظ الامام أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العُقَيْلي ، (دار الكتب الظاهرية) .

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، للحافظ الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي ، (مخطوطة الظاهرية) .

مسألة العلو والنزول للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي . (دار الكتب الظاهرية) .

٦ – الكتب المطبوعة التي ذكرت في التعليقات *

أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء ، لوهبي سليمان غاوجي .
الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ط . مصر ، الأزهرية ، الثانية .
إحياء علوم الدين ، للامام الغزالي ، ط . عيسى البابي الحلبي .
الادب المفرد للبخاري ، بشرحه فضل الله الصمد ، للجيلاني . السلفية .
الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر ، بذيل الاصابة .
أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير .
الاصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، ط . مصطفى محمد .
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوي .
الامام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين . لمحقق هذا الكتاب نور الدين عتر .
البداية والنهاية ، لابن كثير الدمشقي ، مطبعة السعادة .
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ط . مصر ، مكتبة الخانجي .
التاريخ الكبير ، للامام البخاري . الهند .
تأنيب الخطيب لما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب ، للكوثري .
تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ، للسيوطي ، تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، الطبعة الأولى .
تذكرة الحفاظ للذهبي ، الهند ، الطبعة الثالثة .

* مرتبة على حروف المعجم ، مقتصراً على بيان الطبعة في موطن الحاجة .

تذكرة الطالب المعلم بمن يقال انه مخضرم ، للبرهان الحلبي ، حلب .
الترغيب والترهيب ، للمنذري ، تحقيق مصطفى محمد عمارة ، ط . الثالثة .
تصدير مسند الحميدي ، لحبيب الرحمن الاعظمي ، الهند .
تصدير معرفة علوم الحديث ، للدكتور سيد معظم حسين . دار الكتب المصرية .
التعليق على مسند أحمد ، لاحمد محمد شاكر .
التعليق على المغني في الضعفاء ، لنور الدين عتر .
تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير الدمشقي ، ط . عيسى البابي الحلبي .
تفسير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ط . مصطفى البابي الحلبي .
تقدمة الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي . الهند .
تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .
تهذيب التهذيب ، للحافظ ابن حجر . مصورة عن طبع الهند .
تهذيب سنن أبي داود ، للمنذري ، السلفية .
توجيه النظر ، لطاهر بن صالح الجزائري .
جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر .
جامع الترمذي ، ط ، مصطفى البابي الحلبي .
الجامع الصحيح ، للامام البخاري . بولاق سنة ١٣١٣ .
الجامع الصغير ، للسيوطي ، نسخة الشرح فيض القدير .
الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم الرازي ، الهند .
حاشية السندي على سنن ابن ماجه ، للشيخ محمد عبد الهادي السندي .
الحج والعمرة في الفقه الاسلامي تأليف نور الدين عتر . حلب ، الطبعة الاولى .
حلية الأولياء ، لابي نعيم الاصفهاني . مصر ، مطبعة السعادة .
الخطيب البغدادي ، ليوسف العش .

الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث . للدكتور محمود الطحان (نسخة خاصة)
دراسات في السنة الاسلامية ، ليون بورشية . (باللغة الفرنسية) .
وسائل الاصلاح ، لشيخ الأزهر الأسبق محمد الخضر حسين . مطبعة الهداية الاسلاميه
سنن أبي داود السجستاني ، مصر ، التجارية ، الاولى .
السنن للامام الدارمي . دمشق .
سنن الترمذي = جامع الترمذي .
سنن ابن ماجه ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، ط . عيسى البابي الحلبي .
سنن النسائي = المجتبى للنسائي .
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلي .
شرح الألفية في علوم الحديث ، للحافظ العراقي . ط . مصر .
شرح الجامع الصغير = فيض القدير .
شرح شرح نخبة الفكر ، للقاري ، استانبول .
شرح نخبة الفكر = نزهة النظر .
شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور محمد سعيد
خطيب اوغلي . مطبعة جامعة آنقرة .
صحيح مسلم بن الحجاج ، ط . استانبول .
صيد الخاطر ، لابن الجوزي ، مصر . دار الكتب الحديثة .
طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، الطبعة الاولى .
العلل ومعرفة الرجال ، للامام أحمد بن حنبل . ط . أنقرة .
علوم الحديث ، لابن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر . حلب .
علوم الحديث ومصطلحه ، للدكتور صبحي الصالح ، بيروت ، الخامسة .
عودة الغائب (ديوان شعر) للشاعر محمد الحسناوي .
فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، ط . الخيرية الخشاب .

فتح المغيث شرح الفية العراقي في علم الحديث ، للسخاوي ، الهند .
الفصل في الملل والاهواء والنحل ، لابن حزم . مصورة .
فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي .
كشف الخفاء ومزيل الالباس ، للعجلوني . مصر .
الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، الهند .
اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، للسيوطي .
لسان الميزان ، لابن حجر . مصورة عن طبع الهند .
لقط الدرر حاشية نزهة النظر ، للعدوي .
المجتبى (سنن النسائي) ، مصر ، مصطفى البابي الحلبي .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي . مصر .
المحدث الفاصل للرامهرمزي تحقيق الدكتور محمد عجاج خطيب (عزونا اليها مع المخطوطة للتسهيل) .
مراصد الاطلاع ، لصفي الدين البغدادي ، تحقيق البجاوي سنة ١٣٧٣
المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري ، الهند .
المسند للامام أحمد ، مصورة عن طبع الميمنية .
المسند ، لأبي بكر الحميدي ، تحقيق الأعظمي . الهند .
مصطلح التاريخ ، للدكتور أسد رستم .
معجم البلدان ، لياقوت الحموي .
معرفة علوم الحديث ، للحاكم النيسابوري ، دار الكتب بالقاهرة .
المغني في الضعفاء ، للذهبي ، تحقيق وتعليق نور الدين عتر .
المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للسخاوي . مصر .
مقدمة ابن خلدون ، مصر ، الأزهرية ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م .
المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، لابن القيم ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة .

منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، لأحمد البنا .
منهج النقد في علوم الحديث ، تأليف نور الدين عتر . دمشق ، دار الفكر .
موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، للهيثمي ، السلفية .
ميزان الاعتدال ، للذهبي ، عيسى البابي الحلبي .
النجوم الزاهرة ، لابن تغري بردى ، مصور عن طبع دار الكتب المصرية .
نزهة النظر شرح نخبة الفكر لابن حجر ، بشروحه .
نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني ، مصر ، العثمانية .
هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخاصة . تأليف نور الدين عتر . دمشق ، دار الفكر .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان . ط . الميمنية .

* * *

٧ — الأشعار

قال أبو بكر المعروف بابن بقي (أربعة أبيات ،ص ٢٦)

ولي همم ستقذف بي بـــلاداً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ نأت إمـــا العراق أو الشآما

لكيما تحمل الركبان شعري ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ بوادي الطلح أو وادي الخزاما

للشاعر محمد الحسناوي (من الشعر الحديث ص ٢٨) :

ان الســـفر . كنز العبر ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ فارحل ترى الآفاق أبهج منظراً ...

وقال أبو تمام (ص ٢٨) :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِ مُخْلِقٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لديباجتَيْهِ فاغترب تتجـــدد

فاني رأيت الشمس زيدت محبة ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ إلى الناس ان ليست عليهم بسرمد

قال الخطيب البغدادي (ثلاثة أبيات ، ص ٤٣) :

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا بلذة وقت عجلت فرحـا

فالدهر أسرع شيء في تقلبه ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وفعله بيِّنٌ للخلق قـــد وضحا

قال الخطيب أيضاً (ص ٤٤) :

ان كنت تبغي الرشاد محضاً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ لامر دنيـــاك والمعـــاد

فخالف النفس في هواهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ إن الهـــوى جامع الفساد

قال ابو الفضل العباس بن محمد الخراساني (ثلاثة أبيات،ص ٩٦) :

رحلت أطلب أصل العلم مجتهداً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وزينة المرء في الدنيا الأحاديث

لايطلب العلم إلا بازل ذكر ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وليس يبغضه إلا المخانيـــث

قال الشاعر (ص ٢١٨) :

أهتز عنـــد تمني وصلها طربا ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ورب أمنية أحلى من الظّفر

شعر آخر (ص ٢١٩) :

جزى الله المسير اليـــه خيراً ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ وإن ترك المطايـــا كالمزاد

★ ★ ★

٨ - فهرس التقديم لكتاب الرحلة

(الدكتور نور الدين عتر)

منهج الخطيب البغدادي العلمي

التعريف بكتاب الرحلة

★ ★ ★

٩ ـ مضامين كتاب الرحلة في طلب الحديث
(للخطيب البغدادي)

ذكر الرحلة في طلب الحديث
والأمر بها وبيان فضلها

ذكر رحلة نبي الله موسى صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفتاه في طلب العلم

ذكر من رحل في حديث واحد من الصحابة الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين

ذكر الرواية عن التابعين والخالفين في مثل ذلك

ذكر من رحل الى شيخ يبتغي علو اسناده فمات قبل ظفر الطالب منه ببلوغ مراده

* * *

١٠ - فهرس مضامين « استدراك الزيادات على كتاب الرحلة »
(تأليف محقق الكتاب)

طرائف من رحلات المحدثين

* * *

فهرس الفهارس

* * *

صدر للمحقق

الدكتور نور الدين عتر

● **الامام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين .**

دراسة مبتكرة لمناهج الأئمة الثلاثة في الأسانيد ، مع الأمثلة المدروسة ، وشرح لفقه البخاري والترمذي ، اللذين هما منارة فقه المحدثين .

● **علوم الحديث للامام ابن الصلاح (تحقيق) .**

وهو أحسن ما ألف العلماء في قواعد الحديث (طبعة ثانية) .

● **الحج والعمرة في الفقه الاسلامي (موضح بالخرائط الملونة) .**

يجمع بين الفقه والحديث وبيان المذاهب ، والأدعية المأثورة بترتيب سهل (نفد) .

● **هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلوات الخاصة .**

ثلاث عشرة صلاة لها كيفية خاصة يدرسها هذا الكتاب على ضوء السنة والفقه فيها .

● **المغني في الضعفاء ، للامام الذهبي (تحقيق) .**

ويمتاز بتلخيص البحث بما يسهل معرفة حكم الراوي مع الفوائد الفريدة .

● **منهج النقد في علوم الحديث .**

دراسة مبتكرة لقواعد الحديث في ظل نظرية نقدية ، تتآلف فيها أنواع الحديث ، وتجلو دقة علم المصطلح وعبقرية المحدثين . ومعالجة للقضايا المشكلة ، مع مناقشة آراء المستشرقين في قواعـــد الحديث بالأدلة القاطعة .

● **دراسات تطبيقية في الحديث النبوي .**

دراسة شاملة للاسانيد والمتون والفقه ، وموازنة أسانيد الحديث المتعددة . مع الاسلوب السهل والعرض الميسر .

● **ماذا عن المرأة ؟**

يعالج تساؤلات خطت علامات استفهام في أذهان الجيل ، بما تثيره الأفكار الوافدة بانحرافها وزخرفها ، معتمداً على الدراسات التجريبية والاحصاءات (طبعة ثانية) .

● **الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (تحقيق) .**

تحت الطبـع :

الحج والعمرة في الفقه الاسلامي

الدكتور نور الدين عتر

طبعـــة ثانيـــة

كتاب الحج والعمرة في الفقه الاسلامي اسلوب فريد بين كتب مناسك الحج الحديثة ، اختص بدراسة أحكام المناسك دراسة تفصيلية تبين حكم كل مايحتاج إليه من أمور الحج والعمرة والزيارة بياناً واضحاً للأحكام في المذاهب الفقهية مع دليل كل مذهب من الكتاب والسنة وتخريج الأحاديث والكلام عليها من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف . موضحاً بالمصورات الجغرافية الملونة .

وتمتاز الطبعة الثانية للكتاب بمزيد من تنقيح العبارات مما لا يستغنى عنه حتى بالنسبة للطبعة السابقة ، مع إضافة فوائد هامة . كما تمتاز بفهرس مرتب حسب أحرف الهجاء على نظام الموسوعات العلمية ، ليسهل للمطالع كشف مطلوبه بالنظر في الحرف الذي تبدأ به الكلمة مثل« إحرام» في حرف الهمزة ، «الرَّمَل» في حرف الراء . وهو أول كتاب فقهي يصحب بهذا الفهرس الهام

وبذلك أصبح كتاب « الحج والعمرة في الفقه الاسلامي » يسد حاجة دينية أكيدة لكل مسلم بصفة عامه والمثقف بصفة خاصة ، وقد نص العلماء من كل المذاهب على أنه يجب على الحاج أن يعرف أحكام الحج ، وهو أمر واضح ، فكم يقع للحجاج من خلل يضيع على أحدهم عمله وماله بسبب تراخيه في دراسة المناسك ، وإن هذا الدين دين العلم ، لايتوصل إليه إلا بالعلم والتبصر .